كيف نحل مشاكلنا

كتبه
سعيد عبد العظيم
عفا الله عنه





بسم الله الرحمن الرحيم

كيفَ نحلّ مشاكلنا



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنا تقبَّلْ منّا
إنَّكَ أنتَ السَّميعُ العَليمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الايداع ٩١٠٣ / ١٩٩٨
الترقيم الدولى
977-5191-56- 4

دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس : ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون : ٥٤٤٦٤٩٦
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

كيف نحل مشاكلنا ؟

مقدمة :

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن واله ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [١] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [٣] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ،وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

مشاكلنا كثيرة وعديدة ، تحدث على مستوى الفرد والجماعة والدولة ، وهى متفاوتة زماناً ومكاناً وشخصاً ، تختلف وتتنوع أسبابها ودوافعها ، وبالتالى فإن أساليب علاجها ينبغى أن تتكافأ مع صورها وأشكالها .

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٠٢ » .
(٢) سورة النساء الآية « ١ » .
(٣) سورة الأحزاب الآية « ٧٠ ، ٧١ » .

ومن المشاكل ماهو صحى أو مالى أو أسرى يتعلق بمشاكل الأزواج والأولاد ، فالبعض مثير للمشاكل ، ومنها ما يتعلق بسياسة أو اقتصاد أو اجتماع أو أخلاق أو حرب أو سلم ... والعصر الذى نعيش فيه هو عصر العقوق والقلق والتفسخ والجريمة ... مما أحدث أزمات ومشاكل عديدة هنا وهناك ، وبينما انشغل البعض بعلاج المشاكل وإنشاء إدارات للأزمات ومراكز للبحوث ... انصرف آخرون لعدم قدرتهم على مواجهة المشكلة ولجأ فريق إلى المخدرت والخمر هروباً ونسياناً .

أن المشاكل التى تعترضنا بعضها كبار وبعضها صغار ، وقد يتولد بعضها من بعض ، ويؤثر بعضها فى البعض ، وهى فى الأعم الأغلب مسائل مؤرقة تستدعى تدخلاً وحلاً لإزالة الإشكال والإلتباس ، وقد نقيم الدنيا ولا نقعدها من أجل مشكلة خاصة وأحياناً تكون مفتعلة ، ونتأسى ونغفل ماهو أعظم منها ، أو نكون كمن ينشغل بالصداع مع نسيان أصل المرض الذى ولّد هذا الصداع .

وواهمٌ من يظن أنه حلاَّل العُقد أو يعتقد ذلك فى غيره ، وواهمٌ أيضاً من يتصور حل مشكلة دون الإستعانة بخالق الأرض والسموات أو دون الرجوع لمنهج العبودية الذى ارتضاه سبحانه للعالمين .

فالبشر يعانون من نقص وقصور ، وقد زادت الجهالة حدة ، والكثرة لا تدرى شيئاً عن شئ ، ولذلك عبر أحدهم عن هذه المعاناة فقال :

جئت من أين لا أدرى ولقد أبصرت قدامى طريقاً فمشيت

فهو لا يدرى من خلقه ولماذا خلق وإلى أين المصير ؟ وهذه مشكلة عندما تنطمس الفطرة ويغيب العقل وتنطفئ البصيرة ، ويتباعد الناس عن

الوحى المُنزّل ، ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً (٧٢) ﴾ (١) ، ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) ﴾ (٢) ، ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ (٣) ، ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤) .

إن كثرة المشاكل من مظاهر الغربة التى نعيشها ، ونتيجة حتمية للتفسخ والبعد عن دين الله ، حتى حدث الإنقسام المريب بين الأرض والسماء ، والدنيا والآخرة ، وبعض الساعات والبعض الآخر وبعض الرجال والبعض الآخر ، وبعض العبادات وبعضها الآخرة ، وانفصل العلم عن العمل فى حس وشعور الكثير مما أدى للمزيد من المشاكل .

إن الله تعالى هو خالق الخلق ومالك الملك ، وهو سبحانه العليم الخبير الرءوف الرحيم ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) ﴾ (٥) ، ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ (٦) ، وقد شرع لنا شرعاً محكماً لاّ يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن رحمته جل وعلا أن أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (٧) ، ورغم شمول الدين لكل ناحية من نواحى الحياة إلا أننا

---

(١) سورة الإسراء الآية « ٧٢ » .
(٢) سورة الملك الآية « ٢٢ » .
(٣) سورة الأعراف الآية « ١٤٦ » .
(٤) سورة الحج الآية « ٤٦ » .
(٥) سورة الملك الآية « ١٤ » .
(٦) سورة الأعراف الآية « ٥٤ » .
(٧) سورة المائدة الآية « ٣ » .

هجرنا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وصار الإسلام ينادينا من مكان بعيد ، من يوم بدر وأُحد ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾ [١] ، لقد صارت حياتنا مادية طاغية ، لا نفكر إلا بعضلاتنا ولا نعول إلا على الحول والطول وإجراء التجارب على الحيوانات واستيراد الحلول من الشرق والغرب بعيداً عن المنهج الذى أُمرنا به ، نسينا إيمننا وديننا ، وصرنا لا نوقر إلا الخبير الإقتصادى فلان والطبيب العالمى علان ، بينما نسمع كلام رب العالمين وكأن المخاطب به غيرنا !! .

ولذلك ازدادات المشاكل تعقيداً ، وكنا كالمستجير من الرمضاء بالنار أو

كالعير بالرمضاء يقتله الظمأ والماء فـوق ظهوره محمـول

نعالج الفقر بالربا !! ونربى أولادنا على فنون الرقص والضياع ، ونرتمى فى أحضان المغضوب عليهم تارة والضالين تارة أخرى ، ولذلك فالمشاكل تزداد تعقيداً يوماً بعد آخر ، وما جنينا من وراء ذلك إلا المزيد من التعاسة والشقاء ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ﴾ [٢] ، إن من يُطلب منه حل المشاكل اليوم لا يستطيع حل مشاكله فى الأعم الأغلب ، وهذا على مستوى الفرد والدولة ، فلا دراية بالداء ولا بالدواء ، ومحاولة البعض علاج المشاكل

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٤٤ » .
(٢) سورة طه الآية « ١٢٣ - ١٢٦ » .

صارت أقرب إلى إيجاد المزيد من المشاكل ، وصار الحال أشبه بدوامة تكاد لا تنتهي .

وليس غرضنا في هذه الرسالة العرض أو الطرح التفصيلي للمشكلات وطرق علاجها ، فهذا لا يسعنا ولا يسع غيرنا ، فهي كثيرة ومتنوعة ومتجددة ، وشأنها في ذلك كشأن الأباطيل والبدع ﴿ الْحَمْدُ للَّه الَّذي خَلَقَ السَّمَوَات وَالأَرْض وَجَعَلَ الظُّلُمَات وَالنُّورَ ﴾ [١] ، فالظلمات كثيرة لا تنحصر ، أما النور فهو واحد ، فاعرف الحق تعرف أهله ، واعرف الباطل تعرف من أتاه ، واسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين ، ولكن الهدف هو وضع اليد على الداء والدواء الحقيقي ، فما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواء ، وقد جعل سبحانه كتابه ﴿ شفَاءٌ لِّمَا في الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمنينَ ﴾ [٢] ، وقد ذكرت بعض المقدمات المطلوبة بين يدى البحث وفرقت بين طريقة الإسلام لعلاج المشكلات والطرق المادية المستخدمة في ذلك وذكرت أمثله للتدليل على ذلك ، فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمن نفسي ومن الشيطان والله منه برئ ، ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [٣] .

كتبه

سعيد عبد العظيم

---

(١) سورة الأنعام الآية « ١ » .
(٢) سورة يونس الآية « ٥٤ » .
(٣) سورة هود الآية « ٨٨ » .

أولا : إخبار الصادق المصدوق ﷺ عن تفاقم المشاكل وكثرة الفتن وهى من دلائل نبوته ﷺ

﴿ ١ ﴾ ظهور الفتن

عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن بين يدى الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى ، فكسروا قسيكم ، وقطعوا أوتاركم ، واضربوا بسيوفكم الحجارة ، فإن دخل على أحدكم ، فليكن كخير ابن آدم » (١) .

وفى الحديث : « أنه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها فى أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجئ الفتنة فيرقق بعضها بعضاً وتجئ الفتنة فيقول المؤمن : هذه هذه ، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر » (٢) .

وأكثر الفتن التى ظهرت فى المسلمين كان منبعها من المشرق ففى الحديث : « ألا إن الفتنة ههنا ألا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان » (٣) . فمن العراق وما والاها ظهر الخوارج والشيعة والباطنية

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه الألبانى .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الشيخان .

والقدرية والجهمية والمعتزلة والمانوية والمزدكية والهندوسية والبوذية والقاديانية والبهائية والإلحاد وسيكون ظهور الدجال ويأجوج ومأجوج من جهة المشرق ، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ عن فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه إذ كان عمر رضي الله عنه بمثابة باب كُسِرَ على الفتنة فلم يُغلق وكان مقتل عثمان أول فتنة ظهرت ، وقال ﷺ : « **كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوأب** »[١] . فلما بلغت عائشة رضي الله عنها بعض ديار بنى عامر نبحت عليها الكلاب ، فقالت : أى ماء هذا ؟ قالوا : الحوأب ، قالت : ما أظننى إلا راجعة ، فقال لها الزبير : لا بعد تقدمى فيراك الناس فيصلح الله ذات بينهم ، فقالت : ما أظننى إلا راجعة سمعت رسول الله ﷺ يقول : وساقت الحديث وكان ذلك يوم الجمل .

كما أشار النبى ﷺ إلى موقعة صفين بقوله : « **لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة** »[٢] ، فالفئتان هما طائفة علىٍّ ومن معه وطائفة معاوية ومن معه ، على ما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله .

ومن الفتن التى أخبر عنها النبى ﷺ ظهور الخوارج ، وقد صح فيهم الحديث من عشرة أوجه ، كما قال الإمام أحمد ، وعن على رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **سيخرج قوم فى آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم**

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم ، وقال ابن حجر : سنده على شرط الصحيح .
(٢) رواه البخارى ومسلم .

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن فى قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة »[١] ، وقد خرجوا على النحو الذى جاء فى الأخبار وقاتلهم علىّ رضي الله عنه .

ومن هذه الفتن تقليد الأمم الماضية واتباع طريقتهم ، فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، فقيل : يارسول الله كفارس والروم ؟ فقال : ومن الناس إلا أولئك »[٢] .

وفى رواية عن أبى سعيد : « قلنا يارسول الله : اليهود والنصارى ، قال : فمن »[٣] . وفى هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ ، فقد وقع ما أخبر به ﷺ كما قال النووى .

﴿ ٢ ﴾ ظهور مدعي النبوة

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول »[٤] .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين ، وحتى يعبدوا الأوثان ، وأنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبى وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى »[٥] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه البخارى ومسلم .
(٥) رواه أبو داود والترمذى ، و صححه الألبانى .

ومن ادعى النبوة مسيلمة الكذاب والأسود العنسى والمختار بن أبى عبيد الثقفى ، والحارث الكذاب ، وظهر فى العصر الحديث ميرزا أحمد القاديانى ، ومن هؤلاء الكذابين أربع نسوة ادعين النبودة منهم سجاح زوجة مسيلمة الكذاب ، وتنبأ أيضاً طليحة بن خويلد الأسدى ثم تاب ورجع إلى الإسلام وحسن إسلامه ، ولا يزال خروج هؤلاء الكذابين واحداً بعد الآخر حتى يظهر آخرهم الأعور الدجال ، فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى خطبته يوم كسفت الشمس على عهده : « وأنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الكذاب » (١) .

« ٣ » الخسف والقذف والمسخ وكثرة الزلازل

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « سيكون فى آخر الزمان خسف وقذف ومسخ ، إذا ظهرت المعازف والقينات ، واستحلت الخمر » (٢) . ورواه ابن ماجه عن عبد الله بلفظ : « بين يدى الساعة مسخ وخسف وقذف » ويشهد له حديث عائشة رضى الله عنها عند الترمذى : « يكون فى هذه الأمة خسف ومسخ وقذف »، قالت : قلت : يارسول الله : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم إذا ظهر الخبث » (٣) وفى الحديث: « ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ، ولينزلن أقوام إلى جنب علم ، يروح عليهم بسارحة لهم ، يأتيهم لحاجة ، فيقولون :

---

(١) رواه أحمد .
(٢) رواه الترمذى والطبرانى فى مجمعه الكبير والأوسط ، وهو صحيح .
(٣) رواه الترمذى ، وصححه الألبانى .

ارجع إلينا غداً ، فيبيتهم الله ، ويضع العلم ، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة » [(١)] . وفى الحديث : « **لا تقوم الساعة حتى تكثر الزلازل »** [(٢)] .

قال يوسف بن عبد الله الوابل : « والخسف قد وجد فى مواضع فى الشرق والغرب قبل عصرنا هذا ، ووقع فى هذا الزمن كثير من الخسوفات فى أماكن متفرقة من الأرض وهى نذير بين يدى عذاب شديد وتخويف من الله لعباده ، وعقوبة لأهل البدع والمعاصى ، كى يعتبر الناس ويرجعوا إلى ربهم ويعلموا أن الساعة قد أزفت ، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه » أ . هـ .

لقد ضربتنا الزلازل وبدلاً من أن نتوب إلى الله ونسارع بتطبيق شرعه سبحانه فى حياتنا الخاصة والعامة ، صرنا نتحدث عن الزلازل على أنها ظواهر طبيعية !! وأنها لم تقتصر علينا بل حدثت فى إسرائيل واليونان ولبنان !!! وتفتقت الأذهان عن استيراد أجهزة ريختر حديثة لقياس قوة الزلازل !! أبهذا سنستدفع بأس الله إن جاءنا ؟! .

« ٤ » تداعي الأمم علينا

عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يوشك الأمم أن تداعى عليكم ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها »** ، **فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ ؟** قال : « **بل أنتم يومئذ كثير ، ولكن غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن »** ، **فقال**

---

(١) رواه البخارى تعليقاً .
(٢) رواه البخارى .

قال يارسول الله : وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » [١] .

لقد صار أمر هذه الأمة كاليتيم على موائد اللئام ، وذلك عندما تركت دينها ورائها ظهرياً ، وأُشربت حب الدنيا وكراهية الموت ، فضربها التتار والصليبيون واليهود وتسلط الأعداء على رقابنا عندما أصبحنا حرباً على أنفسنا ففي الحديث : « وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، فإن ربي قال : يامحمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع من بأقطارها ، أو قال : من بين أقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضهم بعضاً » [٢] .

﴿ ٥ ﴾ كثرة الكذب وشهادة الزور

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم » [٣] .

وفي رواية : « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم » [٤] .

وجاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله ﷺ : « إن بين يدى الساعة ... شهادة الزور وكتمان شهادة الحق » [٥] .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني بمجموع طرقه .
(٢) رواه مسلم . (٣) رواه مسلم .
(٤) صحيح مسلم (٥) رواه أحمد وصححه أحمد شاكر .

﴿ ٦ ﴾ ظهور الكاسيات العاريات والجلادين الظلمة

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا »[١] .

ومعنى كاسيات عاريات لأن ثيابهن لا تؤدى وظيفة الستر لرقتها وشفافيتها كأكثر ملابس النساء فى هذا العصر ، وقد بلغ التهتك مداه بارتداء ما يسمى بملابس البحر .

وفى الحديث إشارة إلى تحول الشرطة الذين يناط بهم حفظ الأمن إلى جلادين ظلمة يجلدون العباد وذلك فى آخر الزمان ، ففى الحديث : « يكون فى آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر ، يغدون فى سخط الله ، ويرحون فى غضبه »[٢] . وورد أيضاً : « سيكون فى آخر الزمان شرطة يغدون فى غضب الله ويرحون فى سخط الله فإياك أن تكون من بطانتهم »[٣] .

وهذا كله قد ظهر وتحقق فى زماننا ، وهو دليل من دلائل نبوة رسول الله ﷺ .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه أحمد والحاكم والطبرانى فى الكبير بإسناد صحيح .
(٣) رواه أحمد والطبرانى ، وهو صحيح .

﴿ ٦ ﴾ انتشار الزنا

عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « إن من أشراط الساعة ... ويظهر الزنا » [١] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سيأتى على الناس سنوات خداعات ... قال : وتشيع فيها الفاحشة » [٢] .

وعن أبى مالك الأشعرى أنه سمع النبى ﷺ يقول : « ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير » رواه البخارى ، والحر هو الزنا .

وجاء فى حديث النواس رضي الله عنه : « ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة » رواه مسلم .

والمراد بالتهارج أى الجماع وكثرة النكاح .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها فى الطريق ، فيكون خيارهم يومئذ من يقول : لو واريتها وراء هذا الحائط » [٣] .

﴿ ٧ ﴾ انتشار الربا

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « بين يدى الساعة يظهر الربا » [٤] . وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ليأتين على

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه الحاكم ، وصححه الألبانى .
(٣) رواه أبو يعلى ، وقال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح .
(٤) رواه الطبرانى ، وقال المنذرى : رواته رواة الصحيح .

الناس زمان لا يبالى المرء بما أخذ المال أمن حلال أم من حرام »[١] .

إن الربا حرام سواء كان نسيئة أو فضلاً ، اضطرارياً أو اختياراً ، قليلاً أو كثيراً ، انتاجياً أو استهلاكياً ، وسواء على مستوى الفرد أو الدولة ، وقد لعن الله آكل الربا ، وموكله وكاتبه وشاهده ، وهو آخر المحرمات فى القرآن ، وقد توعد سبحانه من يتعامل بالربا بحرب لا طاقة له بها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[٢] ، ورغم ذلك كله ، فقد انتشرت التعاملات الربوية بصورة لم يسبق لها مثل ، حيث بنى اقتصاد الدول وأقيمت البنوك والمصارف على هذا الربا المحرم ، ولم يعدم الناس بعض من ينتسب للعلم الشرعى ويتيح لهم هذا الربا الذى وردت والنصوص بتحريمه واتفقت كلمة العلماء على تحريمه .

« ٨ » ضياع الأمانة وارتفاع الأسافل وإسناد الأمر إلى غير أهله

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، **قال : كيف إضاعتها يارسول الله ؟ قال** : إذا أُسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة »[٣] .

وروى حذيفة رضي الله عنه قال : « **حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر ، حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر – أصل – قلوب الرجال**

---

(١) رواه البخارى .
(٢) سورة البقرة الآيات « ٢٧٨ – ٢٧٩ »
(٣) صحيح البخارى .

ثم علموا من القرآن ثم علموا من السُّنة ، وحدثنا عن رفعها قال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت ، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شئ ، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدى الأمانة فيقال : إن فى بنى فلان ، رجلاً أميناً ، ويقال للرجل : ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ولقد أتى على زمان وما أبالى أيكم بايعت ، لأن كان مسلماً رده على الإسلام ، وإن كان نصرانياً رده علىّ ساعيه ، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلاناً وفلاناً » [١] .

وقد حدث النبى ﷺ عن هذا الوقت الذى تختل فيه المقاييس ، فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أنها ستأتى على الناس سنون خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ، ويؤمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة ، قيل : وما الرويبضة ؟ قال : السفيه يتكلم فى أمر العامة** » [٢] .

وفى حديث جبريل المتفق عليه : « **وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها** » .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **من أشراط الساعة أن يغلب على الدنيا لكع بن لكع فخير الناس يومئذ مؤمن بين كريمين**» [٣] . وفى الصحيح : « **إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة** »

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه أحمد ، وقال أحمد شاكر : إسناده حسن ومتنه صحيح ، وقال ابن كثير : وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه من هذا الوجه .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط بإسنادين ورجال أحدهما ثقات كما قال الهيثمى .

وعن حذيفة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع » [١] .

وهذه النصوص مع تطابقها مع الواقع من حولنا إلا إننا لا ندرى فلعلها تسوء عما هي عليه الآن ، وإلى الله المشتكى من غربة الإسلام وسط أهله وبنيه .

﴿ ٩ ﴾ ذهاب الصالحين وقبض العلم وظهور الجهل

عن عبدا لله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته (أهل الخير والدين) من أهل الأرض فيبقى فيها عجاجة (الأراذل ومنهم لا خير فيه) لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً » [٢] .

وفي الحديث : « يأتى على الناس زمان يغربلون فيه غربلة يبقى منهم حثالة (الردئ) قد مرجت (اختلطت) عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه » [٣] .

وهذا كله يحدث عند قبض العلم واتخاذ الناس رؤوساً جهالاً يفتون بغير علم ، وهذا أيضاً من جملة أشراط الساعة ، ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل » [٤] .

---

(١) رواه أحمد و صححه الألباني .
(٢) رواه أإحمد والحاكم وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح .
(٣) رواه أحمد والحاكم و صححه الحاكم ووافقه الذهبي وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح .
(٤) متفق عليه .

وقبض العلم يكون بقبض العلماء ، ففى الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا** » (١) .

ومن أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر ، والأصاغر : هم أهل البدع كما بين ابن المبارك رحمه الله .

﴿ ١٠ ﴾ إخراج الأرض كنوزها المخبوءة

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **تقئ الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجئ القاتل فيقول : فى هذا قتلت ! ويجيئ القاطع ، فيقول : فى هذا قطعت رحمى ، ويجيئ السارق فيقول : فى هذا قطعت يدى ! ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً** » (٢) .

﴿ ١١ ﴾ ظهور المعازف وكثرة شرب الخمر واستحلال ذلك

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « سيكون فى آخر الزمان خسف وقذف ومسخ ، **قيل : ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال** : إذا ظهرت المعازف والقينات » (٣) . والقينات إشارة إلى المغنيين والمغنيات .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه ابن ماجه والطبرانى و صححه الألبانى .

وعن أبى مالك الأشعرى رضي الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « **ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والزنا والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم - يعنى الفقير - لحاجة فيقولوا : ارجع إلينا غداً فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة** »[(١)] .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من أشراط الساعة** ... » (وذكر منها) : « **ويُشرب الخمر** »[(٢)] .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لتستحلن طائفة من أمتى الخمر باسم يسمونها إياه** »[(٣)] .

لقد أصبحت الخمر تُصنع وتُباع وتُشترى فى ديار المسلمين ، وصار الناس يشربونها جهاراً ويسمونها بيرة ونبيذ وكينا ... وتقدم الراقصون والمغنون والممثلون على سائر فئات المجتمع باسم الفن وصاروا نجوماً يُهتدى بهم وتُتبع أخبارهم !!! .

﴿ ١٢ ﴾ تقارب الزمان والأسواق

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى ... يتقارب الزمان** »[(٤)] .

---

(١) صحيح البخارى .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه أحمد وصححه الألبانى وقال ابن حجر : « سنده جيد » .
(٤) صحيح البخارى .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ، ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كاحتراق السعفة** » [١] .

واحتمال أن يكون تقارب الزمان حسّياً وأن يكون معنوياً كما قال ابن أبي جهرة ، وذكر البعض أن التقارب بمعنى قلة البركة ، أو أن الناس يستقصرون أيام الرخاء التي تحدث في زمن المهدى وعيسى عليه السلام أو أن ذلك بسبب توافر وسائل المواصلات ، أو هو عبارة عن تقارب أحوال أهل الزمان في قلة الدين ، والأولى أن يقال عن تقارب الزمان أنه قصره وسرعته سرعة حقيقية وذلك في آخر الزمان .

وقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب وتتقارب الأسواق** » [٢] ، تقاربت الأسواق بسبب سهولة الإتصال وسرعة العلم بالتقلبات والأسعار .

﴿ ١٣ ﴾ كثرة القتل

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج قالوا : وما الهرج يارسول الله ؟ قال : القتل القتل** » [٣] ، وفي رواية البخاري عن عبد الله بن مسعود : « **بين يدى الساعة أيام الهرج : يزول فيها العلم ويظهر فيها الجهل** » [٤] قال أبو موسى : والهرج القتل بلسان الحبشة .

---

(١) رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى .
(٢) رواه أحمد وقال الهيثمى : « رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سمعان وهو ثقة » .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه البخارى .

وعن أبى موسى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن بين يدى الساعة الهرج قالوا : وما الهرج ؟ قال : القتل ، قالوا : أكثر مما نقتل ، إنا نقتل فى العام الواحد أكثر من سبعين ألفاً قال : إنه ليس بقتلكم المشركين ، ولكن قتل بعضكم بعضاً ، قالوا : ومعنا عقولنا يومئذ ، قال : إنه لينزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان ، ويخلف له هباء من الناس يحسب أكثرهم أنه على شئ وليسوا على شئ » [(١)] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتى على الناس يوم لا يدرى القاتل فيم قتل ، ولا المقتول فيم قُتل ، فقيل كيف يكون ذلك ؟ قال : الهرج ، القاتل والمقتول فى النار » [(٢)] .

وفى الحديث : « إن أمتى مرحومة ليس عليها فى الآخرة حساب ولا عذاب إنما عذابها فى القتل والزلازل والفتن » [(٣)] . استشرى القتل هنا وهناك وثارت الحروب بين المسلمين بسبب وبغير سبب واستخدمت الأسلحة الفتاكة لنشر الإشتراكية ... وتحقيق الزعامة وانتشرت العصابات التى روعت الآمنين وتحقق ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ وهو فى اضطراد وتزايد فقد انتشر الهرج وعمت الفتنة ولم يدر القاتل فيم قتل ولا المقتول فيما قُتل .

(١) رواه أحمد وابن ماجه والحديث صحيح .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى وصححه الألبانى .

﴿ ١٤ ﴾ ظهور الشرك في هذه الأمة

عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع فيها إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتى بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتى الأوثان » (١) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذى الخلصة » (٢) .

وذى الخلصة : طاغية دوس التى كانو يعبدون فى الجاهلية .

وقد حدث ما أخبر عنه النبى ﷺ قد عُبدت الأصنام بجزيرة العرب وطافت بها النساء كما كن يفعلن فى الجاهلية حتى تم تكسيرها فى عهد الملك عبد العزيز آل سعود .

وفى الحديث : لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ، فقالت عائشة : يارسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣) ﴾ (٣) ، أن ذلك تاماً ، قال : « إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفى كل من فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم » (٤) .

فلابد من سد ذرائع الشرك وعدم اتخاذ التصاوير والتماثيل بزعم أننا قد

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وصححه كما صححه الألبانى .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) سورة التوبة الآية « ٣٣ » .
(٤) رواه مسلم .

صرنا موحدين ، كما لابد من الحذر من صرف العبادة للمقبورين وغيرهم ورد حكم ما تنازعنا فيه إلى الله سواء تعلق بالسياسة أو الإقتصاد ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾ [١] .

﴿ ١٥ ﴾ ظهور الفحش وقطيعة الرحم وسوء الجوار

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة » [٢] .

وروى الطبرانى فى « الأوسط » عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أشراط الساعة الفحش والتفحش وقطيعة الرحم » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن بين يدى الساعة ... قطع الأرحام » .

لقد تجاهر وتباهى الناس بارتكاب الذنوب والمعاصى ، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل لأتفه الأسباب وتباعد الأبناء عن الآباء حيث تمر السنون والشهور دون زيارة ، ونفس الأمر هو مع سائر ذوى الأرحام ، وأما سوء الجوار فحدث ولا حرج ، فكم من جار لا يعرف جاره ، ولا يتفقد أحواله مخالفين بذلك كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

---

(١) سورة النساء الآية « ٦٥ » .
(٢) رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبى .

﴿ ١٦ ﴾ تشبب المشيخة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **يكون قوم يخضبون فى آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة** » (١) . وهذا وجد فى المسلمين فبدلاً من إطلاق اللحية حتى تكثر وتغزر إمتثالاً لنصوص الشريعة ، تجد البعض يصنع بلحيته كهيئة حواصل الحمام ، يحلق عوارضه ويترك ما على ذقنه من الشعر ، ثم يصبغه بالسواد فيغدو كحواصل الحمام ، وقد نهى ﷺ عن صبغ الشعر بالسواد فإنه لما رأى أبا قحافة يوم فتح مكة ورأسه كالثغامة (نبات شديد البياض) بياضاً قال : « **غيروا هذا بشئ واجتنبوا السواد** » (٢) .

والمرأة فى ذلك كالرجل فلو غيرت شعرها بالأصفر أو الأحمر فلا بأس أما الأسود فلا .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن حلق اللحية ولم يؤثر أنه أخذ من طول لحيته ولا من عرضها إلا ما روى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما « **أنه كان إذا اعتمر أخذ ما زاد على القبضة** » (٣) .

---

(١) رواه أحمد وصححه أحمد شاكر ، ورواه أبو داود وقوى الحافظ إسناده .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخارى .

﴿ ١٧ ﴾ كثرة الشح

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أشراط الساعة أن يظهر الشح » [١] . والشح هو البخل .

وفى الحديث : « يتقارب الزمان وينقص العمل ويلقى الشح » [٢] .

وعن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يزداد الأمر إلا شدة ولا يزداد الناس إلا شحاً » [٣] .

﴿ ١٨ ﴾ كثرة التجارة ومشاركة المرأة للرجل فيها

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « بين يدى الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة حتى تشارك المرأة زوجها فى التجارة » [٤] .

وعن عمرو بن تغلب قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أشراط الساعة أن يفشوا المال ويكثر وتفشوا التجارة » [٥] .

لم يتخوف النبى ﷺ الفقر على الأمة وإنما تخوف من أن تبسط عليهم الدنيا فتكون الفتنة ، ففى الحديث : « والله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم » [٦] . وفى رواية مسلم : « وتلهيكم كما ألهتهم » .

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط .
(٢) صحيح البخارى .
(٣) روه الطبرانى ورجاله الصحيح إسناده كما قال الهيثمى
(٤) رواه أحمد وصحح أحمد شاكر إسناده ، كما رواه الحاكم .
(٥) رواه أحمد والنسائى .
(٦) متفق عليه .

﴿ ١٩ ﴾ تمني الموت من شدة البلاء

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيقول : ياليتنى مكانه » [(١)] .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ، ويقول : ياليتنى كنت مكان صاحب هذا القبر ، وليس به الدين إلا البلاء » [(٢)] .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « **سيأتى عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت يباع لاشتراه** » .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يأتى على الناس زمان يتمنون فيه الدجال** » ، **قلت : يارسول الله بأبى وأمى مم ذلك ؟ قال** : « **مما يلقون من العناء والعناء** » [(٣)] ، والعناء هو الكرب والشدة .

وهذه الأحاديث تُخبر عن الواقع فى آخر الزمان ، وإلا فقد نهى النبى ﷺ عن تمنى الموت .

اللهم اجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير والموت راحة لنا من كل شر ، وإن أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين .

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار ورجاله ثقات كما قال الهيثمى .

﴿ ٢٠ ﴾ كثرة النساء وقلة الرجال

عن أنس رضي الله عنه قال : لأحدثنكم حديثاً لا يحدثكم أحد بعدى ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا ، وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد »[١] ، وفى لفظ مسلم : « ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد » .

وفى حديث أبى موسى رضي الله عنه : « ويرى الرجل يتبعه أربعون امرأة يلذن به »[٢] وجاء فى الحديث : « من قلة الرجال وكثرة النساء »[٣] .

وكل هذه الأحاديث توضح كثرة النساء وقلة الرجال قرب قيام الساعة ، ولا يبعد أن يكون سبب ذلك كثرة المواليد من الإناث وقلة ذلك بالنسبة للذكور كما قال الحافظ ابن حجر ، وهذا المعنى يرى بوادره من طالع إحصائيات المواليد هنا وهناك . وقد قيل أن سبب ذلك كثرة الفتوح فتكثر السبايا ، وقيل : سببه كثرة الفتن فيكثر القتل فى الرجال لأنهم أهل الحرب دون النساء ، والأول أولى ، والله أعلم .



---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .

﴿ ٢١ ﴾ كثرة شهادة الزور ووقوع التناكر

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن بين يدى الساعة ... شهادة الزور وكتمان شهادة الحق » [1] . لقد انتشر شهود الزور على أبواب المحاكم بصفة خاصة وصاروا يستأجرون بأبخس الأثمان ، فبئس الإجارة ، وبئس الطالب والمطلوب فإن شهادة الزور سبب للظلم وضياع الحقوق وتقطيع الأواصر والروابط .

---

(١) رواه أحمد وصححه أحمد شاكر .

ميزان وضابط لعلاج المشاكل

لا بد لنا من ميزان وضابط نزن به أنفسنا قبل الناس ، وإن وافقنا كنا على حق وإن خلفناه وجب علينا أن نراجع أنفسنا وفقه ونحاسبها على أساسه .

والمسلم دينه الإسلام وهو يجرى منه مجرى الدم من العروق ولا حياة له بدونه ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (١) ، ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) ﴾ (٢) ، فلا تتصور سعادة ولا هناءة فى البعد عن دين الله ولذلك ينتقل الناس من كرب إلى شقاء ومن تعاسة إلى نكد كلما ازدادوا بعداً عن منهج حياتهم وصلاحهم ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (٣) .

ومن رحمة الله تعالى أن حفظ لنا الإسلام وحفظ أيضاً من يقوم به ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ (٤) ، بل وحفظت السُّنة أيضاً فى داووين الإسلام وميز لنا العلماء الأجلاء بين صحيحها وضعيفها فكان الإسلام بمثابة واقعاً تطبيقياً .

فقد أم النبى ﷺ دولة بالمدينة واتسعت رقعتها بعد ذلك لتشمل أرجاء

---

(١) سورة الأنعام الآية « ١٢٢ » .
(٢) سورة الشورى الآية « ٥٢ » .
(٣) سورة طه الآيات « ١٢٣ ، ١٢٤ » .
(٤) سورة الحجر الآية « ٩ » .

المعمورة وهذه الدولة حكمت بدين الله سياسة واقتصاداً واجتماعاً وأخلاقاً وكان لها عهود وعقود ومعاملات وسياسة داخلية وخارجية وعلى ذلك درج الخلفاء من بعده ، وهذا الأمر لا يخفى إلا على من أعمى الله بصيرته فلم يبصر الشمس فى رابعة النهار ثم خرج يزعم بعد ذلك ويقول : أين نظام الإسلام فى السياسة أو الحكم أو الإقتصاد ؟! ومثل هذا لم يرجع لكتاب الله ولا سُنة رسول الله ﷺ ، وتناسى الواقع التطبيقى للإسلام فى أزهى عصوره : « **خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** »[1] .

ومن طالع كتب الفقه والحديث والتفسير والسير وجد تفاصيل ذلك كله ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ ﴾[2] ، وما بعد النور إلا الظلام والعمى ، والحق أبلج والباطل يحلج ، وعلى الحق نور وهو واحد ، والباطل كثير لا ينحصر ، والبدع كثيرة وطرق الغواية كذلك ، وهى عبارة عن فلسفات وتصورات ومذاهب تختلف فيما بينها وتشترك فى أنها ضلال وبعد عن الحق والحقيقة .

وبإزاء الطريق المستقيم الذى رسمه الله لعباده وأمرهم بسلوكه سنجد طرقاً متعرجة متشابكة وظلام متكاثف ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾[3] .

هذا الطريق المستقيم طريق طويل وممتد ابتدأه ربنا جل وعلا بآدم « أبو البشر » وكان نبينا مكلماً وساره فيه الأنبياء والصالحون كلهم أسلم وجهه لله

---

(١) متفق عليه .
(٢) سورة المائدة الآية « ١٥ ، ١٦ » .
(٣) سورة الأنعام الآية « ١٥٣ » .

واستقام على دين الله وقام بواجب العبودية لله رب العالمين ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾ [(١)] .

لم يعتمدوا على حولهم وقوتهم ولا على عقولهم وعلومهم وكانوا يحذرون الرأى والهوى فى دين الله فلم يبتدعوا ولم يخترعوا ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي ﴾ [(٢)] .

وما خلت الأرض من قائم لله بحجة ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [(٣)] ، ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [(٤)] ، وأتباع الحق هؤلاء قد يقلون هنا ويكثرون هناك ، ويدعون غيرهم لطريق الأمن والإيمان حتى وإن سخر بهم واستهزأ منهم ، وكما ورد : « **ولا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك** » .

وإذا كان كل نظام له عقيدة ، فالعقيدة ليست مختصة بالإسلام بل كل ديانة أو مذهب لابد لأصحابه من عقيدة يقيمون عليها نظام حياتهم ، وهذا ينطبق على الأفراد كما ينطبق على الجماعات .

والعقائد منذ بدء الخليفة إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قسمان :

١ - العقيدة الصحيحة : وهى العقيدة الحقة التى جاء بها الرسل

---

(١) سورة البقرة الآية « ١٣٢ » .
(٢) سورة يونس الآية « ١٥ » .
(٣) سورة النساء الآية « ١٦٥ » .
(٤) سورة فاطر الآية « ٢٤ » .

الكرام فى أى زمان ومكان ، وهى عقيدة واحدة لأنها منزلة من العليم الخبير ، ولا تختلف من رسول إلى رسول ، ومن زمان إلى زمان ، ولذلك يخطئ من يقول : الأديان السماوية ، لأن الدين واحد لا يتعدد ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ (١) ، وهو الذى بعث به نوح وموسى وعيسى ورسول الله ﷺ ولكن تعددت الشرائع بشريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع .

٢ - العقيدة الفاسدة : وفسادها من كونها نتاج أفكار البشر ومن وضع عقلائهم ومفكريهم ومهما بلغ البشر من عظم الشأن فإن علمهم يبقى محدوداً مقيداً بقيود متأثراً بما حولهم من عادات وأفكار .

وقد يأتى فساد العقيدة من تحريفها وتغييرها وتبديلها كما هو الحال بالنسبة للعقيدة اليهودية والنصرانية فى الوقت الحاضر فإنهما حرفتا منذ عهد بعيد ففسادها كان من هذا التحريف وإن كانت عقيدة سليمة فى الأصل واستبدلت التوراة بالتلمود والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام باثنى عشر إنجيلاً اتفقوا على أربعة منها وطرحوا الثمانية الأخرى وكلها تحريف وتغيير ولذلك يصادم بعضها بعضاً ، فمن أراد أن يعرف العقيدة السليمة فإنه لن يجدها فى اليهودية ولا النصرانية ولا فى كلام الفلاسفة ، وإنما يجدها فى الإسلام فى أصليه : الكتاب والسُّنة ، تقنع العقل بالحجة والبرهان وتملأ القلب إيماناً ونوراً ويقيناً وحياة ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ (٢) ، ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) ﴾ (٣) .

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٩ » .
(٢) سورة الحجر الآية « ٩ » .
(٣) سورة الملك الآية « ٢٢ » .

بعض خصائص وسمات الإسلام وهو الذى ارتضاه سبحانه للعالمين

إذا كان الإسلام هو الميزان الضابط ، وهو الحاكم وكل شئ من الأنظمة والمناهج والفلسفات محكوم عليه ، وهو يعلو ولا يعلى عليه ، وهو الصبغة التى صبغنا الله بها والدين الذى ارتضاه سبحانه للعالمين على اختلاف ألوانهم وألسنتهم فى كل زمان ومكان ، فلا شك أنه حوى واستم بخصائص ومميزات تؤهله لذلك ، ومن أعظم هذه الصفات والخصائص :

١ - صفة الربانية :

فالإسلام من عند الله ، وهو وحيه سبحانه لنبيه ﷺ ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) ﴾ [(١)] ، وجبريل هو ملك الوحى الذى كان ينزل بأمر الله على المرسلين كموسى وعيسى ورسول الله ﷺ ، والقرآن الكريم بلفظه ومعناه من عند الله ونقل إلينا نقلاً متواتراً حفظته السطور والصدور أن تضل إحدهما فتذكر إحداهما الأخرى ، والسُّنة المطهرة الصحيحة معناها من عند الله واللفظ لرسول الله ﷺ .

وإذا كانت النظم الوضعية مصدرها الإنسان بقصوره وعجزه ، فالإسلام مصدره رب الإنسان ومالكه الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى، يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) ﴾ [(٢)] ، ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) ﴾ [(٣)] ، ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ

---

(١) سورة الشعراء الآيات « ١٩٣ - ١٩٥ » .
(٢) سورة النمل الآية « ٦ » .
(٣) سورة الزمر الآية « ٢ » .

من رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [١] .

وقد أوجب ربنا علينا اتباع كتابه وسُّنة نبيه ﷺ ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [٢] ، والنبى ﷺ صادق مصدوق ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [٣] .

والنظم والفلسفات وإن رفعت راية العدل وتحقيق المساواة وغيرها إلا أنها فى الحقيقة عبارات جوفاء لا رصيد لها من الصحة فى الأعم والأغلب من الأحوال ، والتمييز بين الناس على أساس اللون أو الجنس ما يزال موجوداً حتى عند أكثر الدول تحضراً – كما يزعمون – فى القرن العشرين .

فمن النصوص القانونية فى بعض الولايات الأمريكية « إن النكاح بين شخصين أحدهما أبيض وآخر زنجى يعتبر نكاحاً باطلاً » بل يحرم القانون عندهم أى دعوة لإقرار المساواة أو الزواج بين البيض والسود .

أين هذا الظلم الصارخ من قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [٤] ، وفى الحديث الشريف الذى أورده القرطبى فى تفسيره عن الطبرى بإسناده عمن شهد خطبة رسول الله ﷺ بمنى فى وسط أيام التشريـق وهو على بعير فقال : « **يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : ليبلغ الشاهد الغائب** » [٥] .

---

(١) سورة السجدة الآية « ٢ » .
(٢) سورة الأنعام الآية « ١٥٥ » .
(٣) سورة النجم الآيات « ٣ ، ٤ » .
(٤) سورة الحجرات الآية « ١٣ » .
(٥) أورده القرطبى فى تفسيره عن الطبرى بإسناده .

وعن عائشة رضى الله عنها : أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ قالوا : من يجترئ عليه إلا أسامة ابن زيد حِب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة ، فقال رسول الله ﷺ : « **أتشفع فى حد من حدود الله تعالى ؟ ثم قام فخطب ثم قال : إنما هلك من قبلكم لأنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ؛ وأيمن الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** »[١] ، وأن النبى ﷺ قال لأبى ذر لما قال لرجل من المسلمين يا ابن السوداء : « **إنك امرؤ فيك جاهلية** » [٢] .

والعقيدة ولا شك هى الضمان لحسن تطبيق النظام ، والمؤمنون الذين يرجون ربهم ويخافون سوء الحساب ينقادون لأمر ربهم سرا وعلانية ويخافون على أنفسهم من مخالفته وعصيانه ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) ﴾[٣] ، أما القوانين والمبادئ الوضعية التى شرعها الإنسان فإنها لا تظفر بهذا المقدار من الإحترام والهيبة إذ ليس لها سلطان على النفوس ، ولا يقوم على أساس من العقيدة الحقة والإيمان الصحيح كما هو الحال بالنسبة للإسلام ، ولهذا فإن النفوس تجرؤ على مخالفة القانون الوضعى كلما وجدت فرصة لذلك وقدرة على الإفلات من ملاحقة القانون وسلطان القضاء ورأت هذه المخالفة موافقة لأهوائها وتحقيقاً لرغباتها ، والواقع خير شاهد على ما نقول.

ولننظر بعد ذلك كيف أتى ماعز والغامدية لرسول الله ﷺ وأقرا على

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه البخارى .
(٣) سورة الأنعام الآية « ١٥ » .

نفسيهما لإقامة الحد عليهما لما زنيا فيرجعهما النبى ﷺ مرة بعد أخرى ، وهما يصران على تطهير نفسيهما ، لا شك أن رقابة الله وخوف الله هو الذى دفعهما لذلك .

ولما نزل تحريم الخمر يروى أنس ويقول : كان الكؤوس تدار على رأس أبى طلحة وأبى عبيدة وأبى دجانة وسهيل بن بيضاء ومعاذ بن جبل إذ سمعنا أن الخمر قد حرمت يقول : فما دخل علينا داخل وما خرج منا خارج حتى كان منا من اغتسل ومنا من توضأ وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا إلى المسجد » وفى رواية : « قلنا : انتهينا ربنا انتهينا » قالوا ذلك لما سمعو قول ربهم : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١)** ﴾ [١] ، فكانت المسارعة بالتنفيذ دون تلكؤ أو تردد أو شك أو ارتياب ، وقام المسلمون إلى زقاق الخمر فأراقوها وإلى دنانه فكسروها وغرقت شوارع المدينة يومئذ بالخمر .

ولما شرعت أمريكا قانون تحريم الخمر سنة ١٩٣٠م وبموجبه حرم بيع الخمور وشراؤها وصنعها وتصديرها واستيرادها مهدت له بدعاية « ٦٥ » مليون من الدولارات ، وكتبت تسعة آلاف مليون صفحة فى مضار الخمر ونتائجه وعواقبه ، وأنفق ما يقرب من « ١٠ » عشرة مليون دولار من أجل تنفيذ القانون ، وقتل فى سبيل تنفيذ هذا القانون مائتا نفس ، وحبس نصف مليون

---

(١) سورة المائدة الآيات « ٩٠ ، ٩١ » .

شخص ، وغرم المخالفون له غرامات بلغت ما يقرب من أربعة ملايين دولار ، وصودرت أموال بسبب مخالفته قدرت بألف مليون دولار ثم قاموا بإلغاء القانون فى أواخر سنة ١٩٣٣م .

كان يكفيهم مع الإيمان قوله سبحانه : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ ، ليقولوا : انتهينا ربنا .

٢ - الشمول :

فللإسلام حكمه فى كل قضية من قضايا الحياة سواء تعلقت بالفرد أو الجماعة ، بالمسجد أو بالسوق ، بالسياسة الداخلية أو الخارجية ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ (١) ، ويقول تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ (٢) ، فهى على قول بعض المفسرين تتعلق بالقرآن ، فكل قضية لها حكمها فى كتاب الله إما إجمالاً وإما تفصيلاً ، والأفعال أو الأقوال التى تصدر عن الإنسان بل الخلجات والأفكار التى تدور فى النفوس أو القلوب لها حكمها فى دين الله ، وهى تأخذ حكماً من الأحكام الخمسة «واجب ومندوب ومباح ومكروه وحرام» .

والإنسان الذى حمل الأمانة على ظلمه وجهله إذا نصب من نفسه مشرعاً وإلهاً مع الله لا بد وأن تتسم تشريعاته ونظمه ومناهجه بالظلم والجهل والقصور والهوى والنقص ، ولذلك رأينا القوانين والنظم الوضعية تفصل فصلاً مريباً بين القواعد الأخلاقية والقواعد القانونية ، فلا مكان فيها للأخلاق ، فى الوقت

---

(١) سورة المائدة الآية « ٣ » .
(٢) سورة الأنعام الآية « ٣٨ » .

الذى امتزجت فيه الأخلاق بالأحكام الشرعية امتزاجاً كاملاً ، فلا ضرر ولا ضرار ، والمعصية لا تواجه بالمعصية والخطأ ، ونحرص على تقوى الله فيمن لا يتقى الله فينا .

وهذا الإلتزام يتأكد فى أحرج الظروف وأدق الأوقات ولذلك « لما أتى أبو جندل يستصرخ بالمسلمين يوم الحديبية ، وكان النبى ﷺ قد أبرم الإتفاقية أو العهد مع أبيه « سهيل بن عمرو » أمره النبى ﷺ أن يرجع وقال له : « **يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك عهد الله وإنا لا نغدر بهم** » ، **قال أيضاً** : « **إنا لا يحل فى ديننا الغدر** » [(١)] .

فهذا معنى من معانى شمول الشريعة ، فالعهود كان يبرمها النبى ﷺ الذى أقام دولة بالمدينة وفق شرع الله ، وفى ذات الوقت امتزجت المعانى الأخلاقية بالوعد والعهود امتزاجاً لن تجد مثله فى السياسات الميكافيلية والغاية فيها تبرر الوسيلة كما هو معلوم .

بل ويقرر الفقهاء المسلمون أن الأجنبى « غير المسلم » إذا دخل إقليم الدولة المسلمة بأمان ولمدة معينة ، لا يجوز تسليمه إلى دولته إذا طلبته خلال هذه المدة ، ولو على سبيل المفاداة بأسير مسلم عندها ، ويبقى المنع من تسليمها إياه وذلك لأن على الدولة الإسلامية أن تفى بعهودها له ، فيبقى آمنا لا يمسه سوء ، وتسليمه بدون رضاه غدر منها بعهدها له ، ولا رخصة فيها بل ولا يصح تسليمه حتى وإن قتلت دولته جميع رعايا الدولة المسلمة المقيمين فى أرضها

---

(١) رواه البخارى وأحمد وابن إسحاق – من قصة الحديبية – .

لأن فعلها ظلم ولا مقابلة بالظلم .

والمسلم وهو يتعامل مع الخلق لا ينسى خالقه وقد أمر أن يعطى كل ذى حق حقه ويقول الرسول ﷺ : « **يا عثمان إنى لم أؤمر بالرهبانية أرغبت عن سنتى ؟» قال** : **لا يارسول الله . قال** : « **إن من سنتى أن أصلى وأنام ، وأصوم وأطعم ، وأنكح وأطلق ، فمن رغب عن سنتى فليس منى ، يا عثمان إن لأهلك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً** » [١] ، ويعلم أن قضاء القاضى وحكم الحاكم وفتوى المفتى لا تقلب الحلال حراماً ولا تحول المعصية إلى طاعة قال رسول الله ﷺ : « **إنكم تختصمون إلىّ وإنما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وإنما أقضى لكم على نحو مما أسمع منكم فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتى بها يوم القيامة** » [٢] .

وبالتالى لا يحل لمسلم أن يبيح لنفسه فعل الحرام أو أكله ، وإن أباح له ذلك القضاء ، ولأن الحاكم يحكم حسب الظاهر والله يتولى السرائر ، ولأن مناط الثواب والعقاب فى الآخرة على حقائق الأفعال ونيات الإنسان وما ارتكبه من حلال أو حرام ، والعبرة بالمقاصد لا بالألفاظ .

وفى ظل الشمول سنعلم أنه لا فصل بين العلم والعمل ولا بين الدين والدولة ، ولا بين الدنيا والآخرة ، ولا بين الأرض والسماء ، ولا بين الصلاة والسياسة ، ولا بين الأخلاق والحكم ، ولا بين الزكاة والإقتصاد ، ولا بين

---

(١) رواه الدارمى ، وقال الألبانى : إسناده جيد .
(٢) متفق عليه .

ساعة وساعة ، ولا بين رجل ورجل ، فلا يصح بعد ذلك أن نقول : دع ما لقيصر ليقصر وما لله لله ، أو الدين لله والوطن للجميع ، ورجال الدين ورجال الدولة ، أو ساعة لربك وساعة لنفسك ، أو اليوم الخمر وغداً أمر ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) ﴾ [١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [٢] ، لا ينفصل عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) ﴾ [٤] ، لا يتباعد عن قوله جلا وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [٥] .

وقوله سبحانه : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) ﴾ [٦] ، خرج من مشكاة واحدة

---

(١) سورة الأنعام الآية « ١٦٢ » .
(٢) سورة المائدة الآية « ٤٩ » .
(٣) سورة النساء الآية « ١٠٣ » .
(٤) سورة الأنفال الآية « ٥٨ » .
(٥) سورة المائدة الآية « ٨ » .
(٦) سورة التوبة الآية « ٢٩ » .

هو وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾[(١)] ، وتقرأ فى الأمر بالشورى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[(٢)] ، وفى إيتاء الزكاة : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾[(٣)] ، وفى أداء الأمانة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[(٤)] ، وفى الميراث : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾[(٥)] ، وفى تحريم الربا ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾[(٦)] ، وفى عقوبة السارق : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ ﴾[(٧)] ، وفى التعزير : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[(٨)] ، وفى علاقة الإبن بوالديه : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[(٩)] ، وفى علاقته بزوجته : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[(١٠)] .

شمول واضح وظاهر لكل ناحية من نواحى الحياة ، ولو ذهبنا نستطرد لنقلنا آيات القرآن الكريم وسُّنة النبى ﷺ ، الذى لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن أكمل له ربه الدين ، وأتم عليه النعمة ، ورضى لنا الإسلام ديناً ، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، وقد بيَّن لنا وأعطانا من كل شئ علماً ، وحتى لا نحتاج بعد ذلك لهذه الزبالات التى تفتقت عنها عقول البشر واعتبروها مناهج وفلسفات ونظريات ومن بينها الديمقراطية .

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٩ » .
(٢) سورة الشورى الآية « ٣٨ » .
(٣) سورة فصلت الآية « ٦ ، ٧ » .
(٤) سورة النساء الآية « ٥٨ » .
(٥) سورة النساء الآية « ١١ » .
(٦) سورة البقرة الآية « ٢٧٥ » .
(٧) سورة المائدة الآية « ٣٨ » .
(٨) سورة الشورى الآية « ٤٠ » .
(٩) سورة لقمان الآية « ١٥ » .
(١٠) سورة النساء الآية « ١٩ » .

٣ - العموم :

النبى ﷺ ليس نبياً للعرب فقط وإنما للبشرية كافة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[٢] ، ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[٣] ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) ﴾[٤] ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾[٥] ، ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) ﴾[٦] ، ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾[٧] .

فهذه الرسالة للأبيض والأصفر ، والأحمر والأسود ، ويقول النبى ﷺ : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله** »[٨] .

ولذلك توجه الصحابة ومن بعدهم بهذه الدعوة إلى رستم الفارسى وهنا وهناك ، وأرسل النبى ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، وقال له : « **بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على**

---

(١) سورة سبأ الآية « ٢٨ » .
(٢) سورة الأعراف الآية « ١٥٨ » .
(٣) سورة الأحزاب الآية « ٤٠ » .
(٤) سورة الفرقان الآية « ١ » .
(٥) سورة الأنبياء الآية « ١٠٧ » .
(٦) سورة ص الآية « ٨٨ » .
(٧) سورة البقرة الآية « ١٩٣ » .
(٨) متفق عليه .

من اتبع الهدى ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين – أى الفلاحين » ، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾[1] »[2] .

وكانت الفتوحات الإسلامية لإعلاء كلمة الله فى الأرض بل هذه الرسالة تعدّت الإنس إلى الجن ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ﴾[3] .

فالجن حين تنادت بذلك قالت : أُنزل من بعد موسى ، ولم يقولوا : أنزل من بعد عيسى ، وذلك لأن التوارة شريعة مستقلة مثل القرآن بعكس الإنجيل فهو عبارة عن الأخلاق والآداب والأحكام التى أضيفت إلى التوارة وأصبحت مكملة لها ، ولذلك يسمون التوارة بالعهد القديم .

وعموم الشريعة الإسلامية ، وبقاءها ، وعدم قابليتها للنسخ والتبديل والتغيير بالنقص والزيادة ، كل ذلك استلزم أن تكون قواعدها وأحكامها ومبادؤها وجميع ما جاءت به على نحو يحقق مصالح الناس فى كل عصر ومكان ويفى بحاجاتهم ولا يضيق ولا يتخلف عن أى مستوى عال وصحيح يبلغه البشر بل بلوغ درجة الكمال البشرى المقدور إنما يحدث بالإستقامة على دين الله لا شئ

---

(١) سورة آل عمران الآية « ٦٤ » .
(٢) رواه مسلم .
(٣) سورة الأحقاف من « ٢٩ – ٣١ » .

سواه ، والعليم الخبير هو الذى جعلها عامة فى المكان والزمان وخاتمة لجميع الشرائع ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) ﴾ [١] ، ويقول النبى ﷺ : « **فضلت على الأنبياء بست : أُعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأُحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأُرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بين النبيون** » [٢] .

فجاءت الأحكام والقواعد صالحة لكل زمان ومكان ، ومهيئة للبقاء والاستمرار ، تحقق مصالح العباد فى العاجل والآجل والدنيا والآخرة ، وتدرأ عنهم المفاسد والاضرار فى العاجل والآجل أيضاً حتى قال بعض العلماء : إن الشريعة كلها مصالح إما درأ مفاسد أو جلب مصالح ، والمصلحة تتحقق أتم تحقيق بالرجوع لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعدم مخالفة شرع الله ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)** ﴾ [٣] ، ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)** ﴾ [٤] ، ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١)** ﴾ [٥] .

ولذلك شرعت الرخص عند وجود المشقات ، كإباحة الفطر فى رمضان للمريض والمسافر ، والضرورات تبيح المحظورات وتقدر بقدرها ، كإباحة أكل الميتة لمن خاف الهلكة ولم يجد مباحاً ، والضرر يزال ، ولا ضرر ولا ضرار .

---

(١) سورة الملك الآية « ١٤ » .
(٢) رواه مسلم .
(٣) سورة الأنبياء الآية « ١٠٧ » .
(٤) سورة البقرة الآية « ١٧٩ » .
(٥) سورة المائدة الآية « ٩١ » .

وجاءت نصوص الشريعة بحفظ الضروريات الخمس وهى « الدين والنفس والعقل والنسل والمال » ولحفظ الدين شرع الإسلام العبادات والجهاد وعقوبة المرتد وزجر من يفسد على الناس دينهم ، ولحفظ النفس شرع النكاح والقصاص وتحريم إلقاء النفس فى التهلكة ولزوم دفع الضرر عنها ، وشرع لحفظ العقل تحريم الخمر والمخدرات ، والنسل شرع الإسلام لإيجاده الزواج ولحفظه عقوبة الزنى والقذف وحرمة إجهاض المرأة الحامل إذا استتم الجنين أربعة أشهر بإتفاق العلماء..ولحفظ المال شرع الإسلام لتحصيله أنواع المعاملات من بيع وشراء ونحو ذلك وشرع لحفظه حرمة أكل مال الناس بالباطل أو إتلافه بلا وجه سائغ مشروع والحجر على السفيه وتحريم الربا وعقوبة السرقة .

كما وردت النصوص أيضاً بتحصيل حاجيات الإنسان « كالطلاق إذا لم تعد الحياة الزوجية تطاق » والتحسينات « كالطهارة للبدن والثوب ، وستر العورة والنهى عن بيع الإنسان على بيع أخيه ، والنهى عن قتل النساء والأطفال فى الحروب » .

يقول ابن القيم عن شريعة الله أن: « مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ورحمة ومصالح كلها وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور ومن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه » أ . هـ .

ولا يمكن أن نغلق باب الاجتهاد أمام من تمهدت له أسبابه وحصّل أدوات الاجتهاد ، والنظر فى كتاب الله وسُّنة رسول الله ﷺ ، والشريعة بما حوت من مبادئ « كالشورى والعدل وإزالة الضرر » وأحكام تفصيلية فى كل

ناحية من نواحى الحياة لا يمكن أن تضيق بحاجات الناس المشروعة ، ولا تعجز عن تحقيق مصالحهم الحقيقية فى أى زمان ومكان .

ومصادر الشريعة سواء أكانت أصلية وهى الكتاب والسُّنة ، أو المصادر التبعية كالإجماع والقياس وغيرها ولله الحمد جاءت فى غاية القدرة والاستعداد للبقاء والعموم بحيث لا يحدث شئ جديد إلا وللشريعة حكم فيها بالنص الصريح أو بالإجتهاء الصحيح ، وبالتالى لا تضيق الشريعة بالوقائع الجديدة والحوادث المستجدة ، والصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا لم يجدوا نصاً قاسوا الأشباه بالأشباه والنظائر بالنظائر .

٤ - الجزاء :

وخاصية الجزاء تختلف كثيراً عن عقيدة الفداء والخطيئة وصناديق الغفران عند النصارى ، فمن أذنب فعليه أن يبادر بالتوبة ، وتأخير التوبة ذنب يجب التوبة منه ، ويشرع الستر على الإنسان إذا لم يكن مشهوراً بارتكاب الفواحش «**من أتى شيئاً من القاذورات فليستتر بستر الله فإن من أبدى لنا صفحته أقمنا عليه كتاب الله** » ، وفى رواية أبى داود يقول النبى ﷺ لهزال – وهو الذى أتى بماعز الأسلمى لرسول الله ﷺ لما زنى – : « **لو سترته بثوبك لكان خيراً** » ، ويقول تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ** ﴾ (١) .

ولا يجب على الإنسان أن يذهب إلى الحاكم لإقامة الحد عليه إذا زنى مثلاً لأن النبى ﷺ أرجع ماعز والغامدية مرة بعد أخرى ، وفى الحديث :

(١) سورة النور الآية « ١٩ » .

« **بايعنا رسول الله ليلة العقبة الأولى : أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف – قال : فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن خشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر** » [١] ، والتوبة تمحو كل ذنب كفراً كان أو دونه ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [٢] ، ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [٣] .

ونحن لا نفرح بكثرة عدد المحدودين أو المرجومين ، ولا يصح أن نأخذ الناس بالشبهات فالحدود تدرأ بالشبهات ، وروى ابن حزم بسند صحيح : « **أن عبد الرحمن بن حاطب كانت له نوبية صامت وصلت وهى أعجمية لا تفقه ، وكانت ثيباً فحملت ، فأرسل إلى عمر بن الخطاب فسألها : أحبلت ؟ قالت : نعم من مرعوش بدرهمين ، فاستشار عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، فقال على وعبد الرحمن : وقع عليها الحد أى الرجم . فقال عثمان : أراها تستهل به كأنها لا تعلمه ، وليس الحد إلا على من علمه ، فقال لعثمان : صدقت والذى نفسى بيده ما الحد إلا على من علمه** » ثم أمر بجلدها مائة وتغريبها عاماً تأديباً لها لتهاونها فى السؤال عن الحرام والحلال فى أمر دينها ، وورد فى صحيح البخارى « **أن امرأة بالمدينة كانت تظهر فى الإسلام السوء** » وفى رواية أخرى : « **كانت**

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) سورة الأنفال الآية « ٣٨ » .
(٣) سورة الحجر الآية « ٤٩ ، ٥٠ » .

أعلنت فى الإسلام » ، وفى رواية لابن ماجه : « **فقد ظهر منها الريبة فى منطقها وهيئتها ومن يدخل عليها** » ولكن لما كانت جريمتها بدون بينه قاطعة ما أقيم عليها الحد مع أن النبى ﷺ قال عنها مرة : « **لو كنت راجماً بغير بينة لرجمتها** » .

ومن عجيب الأمر أن قطاعاً من الناس إذا ذكر الإسلام أو الشريعة الإسلامية لم يتبادر لذهنه من هذه الكلمة إلا الحدود كقطع يد السارق أو رجم الزانى المحصن ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على مدى الغربة التى وصل إليها الحال ومدى الضياع الذى وصلت إليه الأمة لما تباعدت عن كتاب ربها وسُنّة نبيها ﷺ ، غفلة عن شمول الإسلام لجميع نواحى الحياة وتنظيمه لها بل وغفلة أيضاً من معنى الجزاء فى الإسلام والأصل فى الجزاء أنه عقاب أخروى ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ** ﴾ (١) ، ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)** ﴾ (٢) ، وهذا من أعظم الزواجر للنفوس المؤمنة عن المخالفة والعصيان ، وربنا جل وعلا أحق أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر .

والجزاء الأخروى لا يمنع الجزاء الذى يوقعه الحاكم على المخالف لأحكام الإسلام ، والجزاء فى الدنيا أيضاً لا يمنع الجزاء فى الآخرة عن المخالف العاصى إلا إذا اقترنت معصيته بالتوبة النصوح ، فلا إصرار على الذنب بل يندم على ما مضى ، ويعزم على عدم العودة فيه مرة ثانية ، وقيل : أن يندم بالقلب ويستغفر باللسان ويقلع الجوارح ، والمؤمن يعلم أنه لو أفلت اليوم من الجزاء الدنيوى فلن

(١) سورة آل عمران الآية « ٣٠ » .
(٢) سورة الزلزلة الآية « ٧ – ٨ » .

يفلت غداً من الله ، فهو مالك الدنيا والآخرة ، والخلق خلقه ، والعبد عبده ، والأمر أمره ، وليس يخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ، ولا من ملكه إلى ملك غيره ولهذا يذهب هو بنفسه لإقامة الحد عليه ولاستيفاء الحق منه ففى رواية لعمران بن حصين فى صحيح مسلم : **أن النبى ﷺ لما أراد الصلاة على الغامدية قال له عمر : يارسول الله أتصلى على هذه الزانية ؟ قال ﷺ** : « لقد تابت توبة لو قسمت بين أهل المدينة لوسعتهم »[١] ، وفى رواية بريدة : **أن النبى ﷺ أمر برجم الغامدية ، فرجموها ، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها ، فنضح الدم على وجه خالد ، فسبها فقال النبى ﷺ** : « مهلاً ياخالد ، فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغُفِر له ، ثم أمر بها وصلى عليها ودفنت »[٢] .

ونطاق الجزاء فى الإسلام واسع وشامل شمول الإسلام لجميع شئون الحياة ، ومن ثم تعلق الجزاء فى الإسلام بمسائل العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات ، فكل مخالفة لهذه الأمور لها جزاؤها فى الآخرة ، وقد يكون لها جزاء فى الدنيا أيضاً ، ومجتمع يطبق فيه حكم الله على الغنى والفقير والرئيس والمرءوس لا بد وأن يسعد فى الدنيا قبل الآخرة .

٥ - الإسلام دين الواقعية كما أنه دين المثالية :

وهذه السمة الواضحة لا تنفصل عن أخواتها من صفات هذا الدين ، الذى امتن علينا ربنا ، وشرفنا بالانتساب إليه ، وأن نكون تحت لوائه بما فيه من عدل واعتدال ، وتوازن واتزان ، حتى وإن رماه الملاحدة بالتخلف والرجعية

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

والجمود ، ونسبوا لأنفسهم – حين نادوا بالديمقراطية وغيرها – الفلسفات والمناهج – أنهم أصحاب دعوات تطورية وتحضرية وتقدمية ، وأنهم يريدون أن يعيشوا حضارة القرن العشرين ، ونحن بشر ولسنا ملائكة أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، نصيب ونخطئ ، فإن وافقنا الحق فذلك فضل من الله ، وإن خالفناه فمن أنفسنا ومن الشيطان والله منه برئ .

ورب العزة جل وعلا لا يكلف نفساً إلا وسعها ، ولا يكلف عباده ما لا يطيقون ، فالواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ ﴾ [1] ، فالإسلام لا يغفل طبيعة الإنسان ، وتفاوت الناس فى مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذى يرسمه لهم ، ولذلك فالطاعات تتفاوت من واجبات إلى مستحبات ، والمعاصى تتفاوت كذلك من أكبر الكبائر إلى الكبائر إلى الصغائر ، والتقوى لها أصل وأساس ، وهى أن يفعل العبد الواجبات وينتهى عن المحرمات ، فإذا فعل المستحبات وترك المكروهات فقد تمت تقواه لله عز وجل ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ [2] ، والظالم لنفسه هو الذى غلبت سيئاته على حسناته ، وهذا قد يدخل النار ، ثم إذا دخلها فلا يدخلها دخول الكفار ، ولا يعذب فيها عذاب الكفار ، ولا يخلد فيها خلود الكفار ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) ﴾ [3] ، والمقصد هو الذى تساوى حسناته مع سيئاته ،

---

(١) سورة الحج الآية « ٧٨ » .
(٢) سورة فاطر الآية « ٣٢ » .
(٣) سورة القلم الآيات « ٣٥ ، ٣٦ » .

وهؤلاء يوقف بهم بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقف بهم ، ثم يؤمرون فيدخلون الجنة ، والسابق بالخيرات هو الذى غلبت حسناته على سيئاته ، وهؤلاء لا يدخلون الجنة لأول وهله ، فالعباد يتفاوتون تفاوتاً عظيماً فى الدنيا والأخرة ، وعن أبى مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : « **أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله** » [١] .

وكما قالوا : حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وقد ذكر ربنا جل وعلا أصناف الناس فى أكثر من موضع من كتابه منها سورة الواقعة وسورة المطففين ، والأولياء يتفاوتون أيضاً في درجات الولاية بحسب إيمانهم وتقواهم ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)** ﴾ [٢] ، والإيمان يتضمن الإسلام ويزيد عليه ، والإحسان يتضمن الإيمان ويزيد عليه ، ولذلك يقول تعالى : ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ [٣] ، وهؤلاء كان معهم أصل الإيمان الذى منعهم من الدخول فى عداد المنافقين ، ولم يكن معهم الإيمان الكامل الذى يستحقون به الدخول فى هذا المعنى ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [٤] .

---

(١) رواه أحمد ، وهو حسن ، وأخرجه الحاكم من حديث ابن عمر ، وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبى . قال الألبانى : وهو كما قال .
(٢) سورة يونس الآية « ٦٢ ، ٦٣ » .
(٣) سورة الحجرات الآية « ١٤ »
(٤) سورة الحجرات الآية « ١٥ » .

والعبد الذى يتابع الفرائض بالنوافل يصل إلى درجة المحبة ، كما فى حديث الولى : « **وما تقرب إلىّ عبدى بشئ أحب إلىّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه** » (١) ، والرجل عندما أتى النبى ﷺ يسأله عن الإسلام فبين له الرسول ﷺ أركان الإسلام ، فانطلق الرجل وهو يقول : والله لا أزيد ولا أنقص منه شيئاً ، فقال رسول الله ﷺ : « **أفلح إن صدق** » (٢) ، والمستوى الأرفع والأعلى حببت الشريعة إلى الناس بلوغه ، ولكن لم توجبه عليهم ، وإلزامهم جميعاً به فى كل وقت فيه حرج ، والحرج فى الشريعة مرفوع ، وهذا من واقعية الإسلام ، وهذا المستوى العالى يشمل المستحبات والمندوبات ، وترك المكروهات ، فالصلاة والصيام والزكاة والحج منها ما هو واجب ، ومنها ما هو مستحب ونافلة كصلاة والنوافل قبلها وبعدها ، وصيام رمضان الواجب ثم صيام الإثنين والخميس مثلاً مستحب .

وفى الإعتداء تجوز المعاقبة بالمثل ، والعفو والصبر أفضل ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦)** ﴾ (٣) ، والكلام بالباطل حرام يجب تركه ، وهذا من معانى المستوى الأدنى ، ثم الثرثرة وكثرة الكلام بما لا يفيد ولا ينفع مكروه ، وإن لم يكن فيه باطل ، لما ورد فى الحديث : « **اتق الله حثما كنت** » (٤) ، وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعاً وهات ، ووأد**

---

(١) متفق عليه .
(٢) متفق عليه .
(٣) سورة النحل الآية « ١٢٦ » .
(٤) رواه أحمد ، والترمذى وحسنه ، والحاكم .

البنات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » [١] ، فالكلام الكثير بما لا ينفع مكروه وتركه أفضل ، وهذا من معانى المستوى الأعلى .

وقد رخص الإسلام فى النطق بكلمة الكفر حال الإكراه بالتهديد بالقتل مثلاً إلا أن العزيمة فى مواطن إظهار الدين أفضل ، ومن واقعية الإسلام إيجاد المخارج فى أوقات الشدة والضيق أو فى أحوال الإضطرار ، كالفطر فى رمضان للمريض والمسافر ، وإباحة الصلاة للمريض وهو قاعدة أو نائم « **صلّ قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطيع فعلى جنب »** [٢] ، ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [٣] ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « **ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه فى شئ قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى »** [٤] .

وقد نهى الإسلام عن الإفراط والتفريط ، والغلو والجفو ، والإسراف والتقصير ، وخير الأمور الوسط ، فلا رهبانية فى الإسلام ، وتعذيب الجسد وتحميله ما لا يطيق ليس من مناهج الإسلام ، فلذلك لما سأل الثلاثة عن عبادة رسول الله ﷺ ، فلما علموها وكأنهم تقالوها ، فقال الأول : أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الثانى : وأما أنا أقوم ولا أنام ، وقال الثالث : وأما أنا فلا أتزوج النساء ، فلما علم النبى ﷺ بذلك قال : « **أما والله إنى لأتقاكم لله ، وأكثركم**

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه البخارى .
(٣) سورة البقرة الآية « ١٨٥ » .
(٤) متفق عليه .

له خشية : أقوم وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، وهذه سنتى ، ومن رغب عن سنتى فليس منى » [١] ، أى ليس على هدى أو طريقتى المحمودة ، وليس له أيضاً أن يعيش حياة البهائم السائمة ، فيتلذذ بالحرام ولا يلتفت لدين ، بل الواجب أن تحل ما أحل الله ، وأن تحرم ما حرم الله ، وأن تعظم حرمات الله ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) ﴾[٢] ، ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا ﴾[٣] ، وأن نعيش حياة الإعتدال ، وقد قال النبى ﷺ لعبد الله بن عمرو : « ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ، قلت : بلى يارسول الله ، قال : فلا تفعل ، صم وأفطر ، ونم وقم ، فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينيك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزورك - أى لمن يزورك من الأصدقاء - عليك حقاً »[٤] .

فيجب أن يحرص على شمول النظرة ، ونتأسى فى ذلك بخير القرون ، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم عند الصلاة يصلون فى المسجد ، ويحرصون على إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام ، وفى حلقات العلم يجلسون معلمين ومتعلمين ، وعند الجهاد يقاتلون ، وعند الشدائد والمصائب يواسون ، ويساعدون ، وهكذا كان شأنهم فى جميع الأحوال ، فالخير كل الخير فى الرجوع لكتاب الله ، ولسُنة رسول الله ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (٢١) ﴾[٥] ، ونحن

---

(١) متفق عليه .
(٢) سورة الحج الآية « ٣٢ » .
(٣) سورة هود الآية « ١١٢ » .
(٤) رواه البخارى ومسلم .
(٥) سورة الأحزاب الآية « ٢١ » .

في هذا المنهج لا نحتقر طاعة ، ولا نستهين بمعصية وإن دقت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [١] ، ومعظم النار من مستصغر الشرر ، وفي الحديث : « اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » [٢] .

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢٠٨ » .
(٢) رواه الترمذي وحسنه ، والحاكم .

بعض سمات الشخصية المطلوبة لمواجهة المشكلات

١ – الربانية أو الصبغة الإلهية ، وهذه الهداية نحتاجها فى كل ناحية من نواحى الحياة ومع كل نفس من أنفاسنا فى العقيدة والشريعة والأخلاق والحكم ، وهى تؤخذ من الإسلام وحده ولا يصح خلطها بالفلسفة ولا يمكن الحصول عليها من أديان منحرفه أو مبادئ ضالة ﴿ **قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ** ﴾ [١] .

٢ – بصيرة وفرقان نميز بها بين الحق والباطل والإيمان والكفر ولا بد فيها من علم نافع وعمل صالح ﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)** ﴾ [٢] .

٣ – المسلم بشر يصيب ويخطأ ويحب ويبغض يأكل ويشرب ويتزوج ويعمّر الأرض بطاعة الله ، يعمل ويتكسب ويتطلع إلى السماء ولا ينسى أنه واقف على سطح الأرض فلا يبنى قصوراً فى الرمال ولا يسبح فى غير ماء يأخذ بالأسباب ويفوض الأمر كله لله ، ويعطى كل ذى حق حقه فلربه عليه حقاً ولنفسه عليها حقاً ولأهله عليه حقاً فالهروب من الحياة والانقطاع فى الخرائب وتعذيب الجسد وتحريم ما أحل الله صور منكرة وقد قال النبى ﷺ لحنظلة « **ساعة وساعة** » وكررها [٣] .

٤ – العزة فلا كبر ولا غرور فالمسلم لا ترهبه صولة الباطل ولا عنفوان

---

(١) سورة البقرة الآية « ١٢٠ » .
(٢) سورة يوسف الآية « ١٠٨ » .
(٣) رواه مسلم .

الكفر، فلا يخجل من انتمائه للإسلام ولا من إظهاره لشعائره يُبلغ شريعة الإسلام وعقيدته للناس كافة ، وهذه العزة مصدرها الإيمان لا الجنس أو اللون أو اللغة أو المال أو النسب ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [(١)] ، ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) ﴾ [(٢)] .

٥ – التمسك بالحق والثبات عليه والمجاهده فى سبيله يتخوف على نفسه من المعصية ويتعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن يتضرع إلى ربه ويعلم أنه لا حول ولا قوة إلا بالله ويستصحب فى سفره إلى ربه زاد التقوى ويصبر على ما أصابه ويعلم أن العاقبة للمتقين وأن النصر عقبى الصابرين .

٦ – الأوبة إلى الله فالمسلم شديد الحب لربه قوى التعلق به ، ويتمنى لقاءه سبحانه فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، يحدث لكل ذنب توبة ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢) ﴾ [(٣)] .

وختاماً نقول إذا كانت القوى الكافرة قد تسلمت زمام الأمور فى ديار المسلمين فضلاً عن ديار الكفر فلكى نعيد للإسلام ماكان عليه فلا بد من إعادة الشخصية الإسلامية التى رأيناها فى الرعيل الأول فبمثل أولئك الرجال أعلى الله كلمته وأعز دينه وأذل الشرك وأهله والله غالب على أمره ومتم نوره ولو كره الكافرون .

---

(١) سورة المنافقون الآية « ٨ » .
(٢) سورة آل عمران الآية « ١٣٩ » .
(٣) سورة التوبة الآية « ١١٢ » .

هدى القرآن فى حل بعض المشاكل العالمية

قال الإمام الشنقيطى فى أضواء البيان ما نصه :

ومن هدى القرآن للتى هى أقوم ، هديه إلى حل المشاكل العالمية بأقوم الطرق وأعدلها ، ونحن دائماً فى المناسبات نبين هدى القرآن العظيم إلى حل ثلاث مشكلات ، هى من أعظم ما يعانيه العالم فى جميع المعمورة ممن ينتمى إلى الإسلام ، تنبيهاً بها على غيرها :

المشكلة الأولى :

هى ضعف المسلمين فى أقطار الدنيا فى العدد والعدد عن مقاومة الكفر . وقد هدى القرآن العظيم إلى حل هذه المشكلة بأقوام الطرق وأعدلها ؛ فبين أن علاج الضعف عن مقاومة الكفار إنما هو بصدق التوجه إلى الله تعالى ، وقوة الإيمان به والتوكل عليه . لأن الله قوى عزيز ، قاهر لكل شئ ؛ فمن كان من حزبه على الحقيقة لا يمكن أن يغلبه الكفار ولو بلغوا من القوة ما بلغوا .

فمن الأدلة المبينة لذلك : أن الكفار لما ضربوا على المسلمين ذلك الحصار العسكرى العظيم فى غزوة الأحزاب المذكور فى قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً (١١) ﴾[1] ، كان علاج ذلك هو ما ذكرنا ؛ فانظر شدة هذا الحصار العسكرى وقوة أثره فى المسلمين ، مع أن جميع أهل الأرض فى ذلك الوقت مقاطعوهم سياسة

---

(١) سورة الأحزاب الآيات « ١٠ ، ١١ » .

واقتصاداً ، فإذا عرف ذلك فاعلم أن العلاج الذى قابلوا به هذا الأمر العظيم وحلوا به هذه المشكلة العظمى ، هو ما بينه جل وعلا بقوله : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) ﴾ [١] .

فهذا الإيمان الكامل ، وهذا التسليم العظيم لله جل وعلا ، ثقة به ، وتوكلاً عليه ، هو سبب حل هذه المشكلة العظمى .

وقد صرح الله تعالى بنتيجة هذا العلاج بقوله تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧) ﴾ [٢] .

وهذا الذى نصرهم الله به على عدوهم ما كانوا يظنونه ، ولا يحسبون أنهم ينصرون به وهو الملائكة والريح ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [٣] ، ولما علم جل وعلا من أهل بيعة الرضوان الإخلاص الكامل ونوه عن إخلاصهم بالإسم المبهم الذى هو الموصول فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [٤] ، أى من الإيمان

---

(١) سورة الأحزاب الآية « ٢٢ » .
(٢) سورة الأحزاب الآيات « ٢٥ – ٢٧ » .
(٣) سورة الأحزاب الآية « ٨ » .
(٤) سورة الفتح الآية « ١٨ » .

والإخلاص ، وكان من نتائج ذلك ما ذكره الله جل وعلا فى قوله : ﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١) ﴾ [١] ، فصرح جل وعلا فى هذه الآية بأنهم لم يقدروا عليها ، وأن الله جل وعلا أحاط بها فأقدرهم عليها ، وذلك من نتائج قوة إيمانهم وشدة إخلاصهم .

فدلت الآية على أن الإخلاص لله وقوة الإيمان به ، هو السبب لقدرة الضعيف على القوى وغلبته ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [٢] ، وقوله تعالى فى هذه الآية : ﴿ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ﴾ ، فعل فى سياق النفى ، والفعل فى سياق النفى من صيغ العموم على التحقيق ، كما تقرر فى الأصول .

فقوله : ﴿ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ﴾ ، فى معنى لاقدرة لكم عليها ، وهذا يعم سلب جميع أنواع القدرة ، لأن النكرة فى سياق النفى تدل على عموم السلب وشموله لجميع الأفراد الداخلة تحت العنوان ، كما هو معروف فى محله .

وبهذا تعلم أن جميع أنواع القدرة عليها مسلوب عنهم ، ولكن الله جل وعلا أحاط بها فأقدرهم عليها ، لما علم من الإيمان والإخلاص فى قوبهم ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) ﴾ [٣] .

المشكلة الثانية :

هى تسليط الكفار على المؤمنين بالقتل والجراح وأنواع الإيذاء مع أن المسلمين على الحق والكفار على الباطل .

---

(١) سورة الفتح الآية « ٢١ » .
(٢) سورة البقرة الآية « ٢٤٩ » .
(٣) سورة الصافات الآية « ١٧٣ » .

وهذه المشكلة استشكلها أصحاب النبى ﷺ ، فأفتى الله جل وعلا فيها ، وبين السبب فى ذلك بفتوى سماوية تتلى فى كتابه جل وعلا .

وذلك أنه لما وقع ما وقع بالمسلمين يوم أُحد . فقتل عم رسول الله ﷺ وابن عمته ، ومثل بهما ، وقتل غيرهما من المهاجرين ، وقتل سبعون رجلاً من الأنصار ، وجرح ﷺ ، وشقت شفته ، وكسرت رباعيته ، وشج ﷺ .

استشكل المسلمون ذلك وقالوا : كيف ينال منا المشركون ؟ ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ ! فأنزل الله قوله تعالى : ﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ ، فيه إجمال بينه تعالى بقوله : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ (٢) .

ففى هذه الفتوى السماوية بيان واضح ، لأن سبب تسليط الكفار على المسلمين هو فشل المسلمين ، وتنازعهم فى الأمر ، وعصيانهم أمره ﷺ ، وإرادة بعضهم الدنيا مقدماً لها على أمر الرسول ﷺ وقد أوضحنا هذا فى سورة « آل عمران » ومن عرف أصل الداء عرف الدواء كما لا يخفى .

المشكلة الثالثة :

هى اختلاف القلوب الذى هو أعظم الأسباب فى القضاء على كيان الأمة

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٦٥ » .
(٢) سورة آل عمران الآية « ١٥٢ » .

الإسلامية ، لاستلزامه الفشل ، وذهاب القوة والدولة ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [١] ، وقد أوضحنا معنى هذه الآية فى سورة الأنفال .

فترى المجتمع الإسلامى اليوم فى أقطار الدنيا يضمر بعضهم لبعض العدواة والبغضاء ، وإن جامل بعضهم بعضاً فإنه لا يخفى على أحد أنها مجاملة ، وأن ما تنطوى عليه الضمائر مخالف لذلك .

وقد بين تعالى فى سورة « الحشر » أن سبب هذا الداء الذى عمت به البلوى إنما هو ضعف العقل : قال تعالى : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [٢] ، ثم ذكر العلة لكون قلوبهم شتى بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [٣] ، ولا شك أن داء ضعف العقل الذى يصيبه عن إدراك الحقائق ، وتمييز الحق من الباطل ، والنافع من الضار ، والحسن من القبيح ، لا دواء له إلا إنارته بنور الوحى ؛ لأن نور الوحى يحيا به من كان ميتاً ويضئ الطريق المتمسك به ؛ فيريه الحق حقاً والباطل باطلاً ، والنافع نافعاً ، والضار ضاراً ؛ قال تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [٤] ، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ ﴾ [٥] ، ومن أخرج من الظلمات إلى النور أبصر الحق ، لأن ذلك النور يكشف له عن الحقائق فيريه الحق حقاً ،

---

(١) سورة الأنفال الآية « ٤٦ » .
(٢) سورة الحشر الآية « ١٤ » .
(٣) سورة الحشر الآية « ١٤ » .
(٤) سورة الأنعام الآية « ١٢٢ » .
(٥) سورة البقرة الآية « ٢٥٧ » .

والباطل باطلاً ، قال تعالى : ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [(١)] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ ﴾ [(٢)] ، وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ﴾ [(٣)] ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الإيمان يكسب الإنسان حياة بدلاً من الموت الذى كان فيه ، ونوراً بدلاً من الظلمات التى كان فيها .

وهذا النور العظيم يكشف الحقائق كشفاً عظيماً ؛ كما قال تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [(٤)] ، ولما كان تتبع جميع ما تدل عليه هذه الآية الكريمة من هدى القرآن التى هى أقوم يقتضى تتبع جميع القرآن جميع السنة لأن العمل بالسنة من هدى القرآن التى هى أقوم ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [(٥)] ، وكان تتبع جميع ذلك غير ممكن فى هذا الكتاب المبارك ، اقتصرنا على هذه الجمل التى ذكرنا من هدى القرآن للتى هى أقوم تنبيهاً بها على غيرها . والعلم عند الله تعالى .

---

(١) سورة الملك الآية « ٢٢ » .
(٢) سورة فاطر الآيات « ١٩ - ٢٢ » .
(٣) سورة هود الآية « ٢٣ » .
(٤) سورة النور الآية « ٣٤ » .
(٥) سورة الحشر الآية « ٧ » .

مشاكل تفاوتت الأنظار والمناهج فى علاجها

(١) هل نعالج المشاكل الإقتصادية بتحديد النسل !!!

لقد أصبحنا كالمستجير من الرمضاء بالنار ، وكالعير يقتله الظمأ والماء فوق ظهوره محمول ، والداء يعالج بداء آخر ، وخرج المرضى ومن لافقه عنده ولا بصيرة لديه من الساسة والاقتصاديين والخبراء !! يصورون لنا أن المخرج من الضنك والفقر الاقتصادى يكمن فى تحديد النسل ، لأن زيادة السكان تستهلك كل زيادة فى الإنتاج ، ولم يعدم هؤلاء بعض قطاع الطريق إلى الله من الدين باعوا دينهم بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ، فحللوا الحرام وحرموا الحلال وبرروا ببعض نصوص الشريعة ، هذا التصوير المريب وهذا الطغيان المادى .

بعض استدلالاتهم لتبرير هذه الدعوى الفاجرة :

ومن جملة ما استدلوا به ما رواه البخارى ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه : « **كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ فبلغ ذلك نبى الله ﷺ فلم ينهنا** » وفى رواية « **كنا نعزل والقرآن ينزل** » وعن أبى سعيد الخدرى قال : « **جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال إن لى وليدة - يعنى جارية - وأنا أعزل عنها وأنا أريد ما يريد الرجل ، وإن اليهود زعموا : أن الموءودة الصغرى العزل فقال رسول الله ﷺ : «كذبت يهود كذبت يهود ، لو أراد الله أن يخلقه لم تستطيع أن تصرفه** »[١] ، وأيضاً عن جابر : « أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ

---

(١) رواه النسائى وأبو داود والترمذى وأحمد بسند صحيح .

فقال : إن لى جارية هى خادمنا وسانيتنا - أى تسقى لنا النخل - وأنا أطوف عليها - أى أجامعها - وأنا أكره أن تحمل فقال : أعزل إن شئت فإنه سيأتيها ما قُدّر لها، فلبث الرجل ثم أتاه فقال: « إن الجارية قد حبلت فقال : قد أخبرتك قد حبلت فقال : قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قدر لها » [١] .

العلاج كما ورد في الكتاب والسُّنة :

وعلى افتراض صحة الاستدلال بهذه النصوص فى هذه المسألة وهو لا يصح بإذن الله ، فعلاج الحالة الاقتصادية المتردية لا يقتصر على تحديد النسل وإلا فأين نحن كمسلمين من الدعاء وسؤال الله من فضله والتعوذ به من الفقر ومن المعلوم أن العبد إذا أُلهم الدعاء فإن الإجابة معه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [٢] ، وكان النبى ﷺ يسأل ربه الهدى والتقى والعفاف والغنى ويتعوذ به من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وغلبة الدين وقهر الرجال ، ومن الأدعية المأثورة : « **اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا وأصلح لنا أخرنا التى إليها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر** » وكانوا إذا أجدبوا دعوا بدعاء الاستسقاء ، ومن أعظم أسباب سعة الرزق ، الاستغفار وذلك لقوله سبحانه : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾ [٣] ، وورد أن : « **من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا**

---

(١) رواه مسلم ، وقد ذهب الأئمة الأربعة وغيرهم إلى جواز العزل مع الكراهة .

(٢) سورة غافر الآية « ٦٠ » .

(٣) سورة نوح الآيات « ١٠ ، ١١ » .

يحتسب » ، قال العلماء : لو أن الخلق جميعاً أخذوا بها لكفتهم .

أثر المعاصي في تدمير الإقتصاد :

المعصية سبب كل شر وبلاء فى الدنيا والآخرة ، وما نزل بلاء إلا بذنب وما رُفع إلا بتوبة كما قال على بن أبى طالب رضي الله عنه ، وقد حكى لنا سبحانه ما كان من قوم سبأ ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [1] ، ويقول سبحانه : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [2] ، ويقول تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [3] .

الطاعات من أعظم أسباب الرخاء :

وأكثر المعانى الإيمانية التى يجب علينا أن نأخذ بها ونربى علينا أنفسنا والناس من حولنا حتى نسعد فى دنيانا وأخرانا كِبَر الوالدين فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من سره أن يُمَد له فى عمره ويزاد فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه » [4] ، قال البعض : بر الوالدين شكر لله تعالى لأن الله تعالى قال : ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ [5] ، فإذا برهما فقد

---

(١) سورة سبأ الآيات « ١٥ - ١٧ » .
(٢) سورة الإسراء الآية « ١٦ » .
(٣) سورة الشورى الآية « ٣٠ » .
(٤) رواه أحمد والبيهقى .
(٥) سورة لقمان الآية « ١٤ » .

شكرهما ، ومن شكرهما فقد شكر الله ، وقد قال فى تنزيله : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [١] ، فهو سبحانه يتفضل بالزيادة للشاكرين فى الرزق وغيره ، والتوكيل على الأخذ بالأسباب مطلوب ومشروع لقوله سبحانه : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [٢] ، والاسترجاع من أعظم أسباب الأجر وذلك لقوله النبى ﷺ : « **ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيراً منها إلا آجره الله فى مصيبته وأخلف لى خيراً منها** » ، والاستعانة بالصبر والصلاة تسلية ، وأى تسلية وفى ذلك يقول العليم الخبير : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [٣] .

تربية الناس على معانى الإيمان :

تعويد الناس الأمانة والأكل بالحلال وإخراج الزكاة وإتقان العمل ومحبة الخير للآخرين وتحذيرهم من الخيانة والربا والأكل بالحرام والغش والرشوة وربط ذلك كله بالإيمان الذى ندين به لله تعالى ، هو من أبلغ الأسباب فى تحصيل المطلوب ولكن يبدو أن الساسة والاقتصاديين والخبراء نسوا ذلك كله أو تناسوه وتوهموا أن العلاج الاقتصادى فى تحديد نسل الأمة .

شروط لابد منها لتجويز تحديد النسل :

هناك شروط لابد منها فى جواز تحديد النسل ، منها : استئذان الزوج لأن له حق فى الولد ، واستئذان الزوجة الحرة لما رواه أحمد وابن ماجه عن عمر]

(١) سورة إبراهيم الآية « ٧ » .
(٢) سورة الطلاق الآية « ٣ » .
(٣) سورة البقرة الآية « ٤٥ » .

قال : « **نهى رسول الله ﷺ أن يعزل عن الحرة إلا بإذنها** » ومنها ألا يستتبع العزل أو الوسيلة المستخدمة فى تحديد النسل ضرراً بالزوجة أو بالزوج وإلا حرم العزل حتى وإن رضيت الزوجة إذ الشرع لم يعط العباد الإذن فى استلحاق المضرة بأجسادهم لقول النبى ﷺ : « **لا ضرر ولا ضرار** » [1] ، ولا يجوز قطع النسل بالكلية كما فى حالات تعقيم الرجال أو ربط المبيض فى المرأة دون سبب موجب لذلك ، إذ قطع النسل حينئذ مُثْلَه لا تجوز وقد نهى النبى ﷺ عن المثلة ، كما لا يجوز أن يكون التحديد خشية الفقر إذ هذا من سوء الظن بالله تعالى ، والنصوص التى وردت تبيح العزل لابد من فهمها على ضوء بقية نصوص الشريعة ، ثم هى تتعلق بحالات فردية ، لا يصح معها أن نعمم دعوة تحديد النسل ترغيباً أو ترهيباً ، إن تصرف الحاكم أو الإمام منوط بالمصلحة ولا مصلحة للأمة فى تقليل نسلها ؛ لقول رسول الله ﷺ : « **تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم** » .

دعوات مريبة :

فالحث على الزواج والتناسل يتنافى مع هذه الدعوات المريبة التى يراد من ورائها تقليل نسل الأمة بغية إضعافها ؛ وبالتالى فلا يصح الاستجابة لمثل هذه الدعوات العامة والتى أصبحت على سبيل الحتم والإلزام فى أماكن كثيرة وفى وقت يحرص فيه أعداء الإسلام على تكثير نسلهم واستغلال الطاقات البشرية فى زيادة مظاهرة الثروة ، وسيبقى الجواز بهذه الضوابط للحالات الفردية التى تدعوها المصلحة المعتبرة لذلك ، ومصيبة الاقتصاديين وغيرهم تكون كبيرة

---

(١) أخرجه مالك فى الموطأ والحاكم والبيهقى والدارقطنى وابن ماجه .

عندما يجهلون الدين والدنيا فى آن واحد ، فلاهم عملوا بالمعانى الإيمانية ودعوا الأمة لذلك ، ولاهم طالبوا بتكثير نسل الأمة مع حُسن استخدامه كمصدر من مصادر الثروة ، ولذلك فأمثال هؤلاء من نكبات الأمة بل هم من أسباب دمارها بسبب إلحادهم وطغيانهم المادى .

فهل أنتم مسلمون؟! :

انظر حين أعلن أهل مكة مقاطعة بنى هاشم ، وكان هذا فى أول الإسلام، فانحازوا فى الشعب واشتد عليهم الأمر حتى أكلوا ورق الشجر فهل دعاهم الرسول ﷺ إلى تحديد النسل ، ولما نبذ المسلمون عهد المشركين ومنعوهم الحج إلى مكة وكان فى ذلك تعطيل لأسواقها ومظنة فاقتهم وفقرهم نزل قوله سبحانه : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ ﴾[1] ، فهل دعاهم سبحانه إلى تحديد النسل بقدر مواردهم أم وعدهم الغنى من واسع فضله ؟ فالأمر يحتاج إلى إيمان ، فهل أنتم مسلمون ، فإذا كانت الإجابة : نعم فلنترك النظم الوضعية كنظام ماركس ، والدعوات المستوردة كدعوة تحديد النسل : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ [2] .



(١) سورة التوبة الآية « ٢٨ » .
(٢) سورة الروم الآية « ٣٠ » .

﴿ ٢ ﴾ إشكالية تربية الأولاد وأزمة الجيل الناشئ

لا يدخر الآباء وسعاً فى القيام على مصالح أبنائهم المادية ، من طعام وشراب وملبس ومسكن ، وتعليمهم أيضاً الطب والزراعة والهندسة ... .

بل ومساعدة الأبناء أحياناً فى الزواج ويرون بعد ذلك أنهم قد أدوا كل ما عليهم وما عسى الواحد منهم إلا أن يموت قرير العين ، ومن عجيب الأمر أن الوالد لا يمل أبداً من نصح ابنه بالمذاكرة وإتقانها حتى يتفوق فى دراسته بينما هو لا يكلف نفسه أن ينصحه مرة بالمحافظة على الصلاة أو تلاوة القرآن أو غض بصره عن الحرام ، وإذا قيل له فى ذلك : قال : كل إنسان معلق من عرقوبه !!! وهذا الذى نحكيه ليس خيالاً ، ولا هو حالة فردية بل هذه حالة الأعم الأغلب من الأباء ، كلهم يفرح لنجاح ولده فى الامتحان وحصوله على الشهادة الجامعية ويحزن بشدة لرسوبه فى دراسته بينما هو لا يحزن إذا فرط ابنه فى صلاته ، بل قد يصده ويصرفه عنها بزعم أنها ستضيع وقته !!! .

عققناهم صغاراً فعقُّونا كباراً :

إنها إضاعة للأمانة وصورة فجة من صور المادية المعاصرة ، وإهدار لمعانى التربية الإيمانية الصحيحة ، وعقوق للأبناء ولذلك لا نستغرب إذا عقونا كباراً لقد انفصلت الدنيا عن الآخرة ، وأصبحت الدنيا هى كل همنا ومبلغ علمنا ، وتوهمنا مع ذلك كله أننا نحسن الصنع ونؤدى واجبنا بأمانة وإتقان !! أين نحن من قول الله تعالى : ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[1] ، ومن الحديث «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »؟! .

---

(١) سورة التحريم الآية « ٦ » .

ولن تزول قدما ابن آدم من عند الله حتى يسأل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع ، وقد أمر سبحانه بأداء الأمانة فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[1] ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (٧٢) ﴾[2] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « آية المنافق ثلاثة : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان »[3] ، وفي رواية : « وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم » .

لا بورك في دنيا تأتي على حساب الدين :

لا مانع أبداً من اتقان الدراسة والأخذ بأسباب النجاح والفرحة بالحصول على الشهادة الجامعية ، ولكن أين الحرص على الصلاة والتقى والتزام طاعة الوقت من صلاة وتلاوة للقرآن ... وهل هناك تعارض في ذلك ؟! كلا : فلكل مقام مقال ، ولا بورك في دنيا تأتي على حساب الدين والوالد جزاه الله خيراً على إحسانه لأولاده بالطعام والشراب والمسكن ، ولكن أين حرصه على إقامتهم على دين الله ، وقيادة المنزل قيادة إسلامية ، وتربيتهم على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وزجرهم عن مخالفة الشرع الحنيف ؟! .

الولد من سعي والديه وكسبهما :

فالولد الصالح هو خير ثروة للإنسان في حياته وبعد مماته ولذلك يقول النبي ﷺ : « إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم

---

(١) سورة النساء الآية « ٥٨ » .
(٢) سورة الأحزاب الآية « ٧٢ » .
(٣) متفق عليه .

ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »[١] ، والذرية الصالحة يُجمع شملها مع آبائها الصالحين في الجنة ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾[٢] ، وفي تفسير قوله سبحانه : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾[٣] ، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾[٤] ، قال العلماء : إن ابن الإنسان من سعيه وكسبه وهو من جملة آثاره ، ولذلك فعمله الصالح ينتفع به الوالدن دون أن ينقص من أجره شئ ، ولو أساء الابن فعليه إساءته طالما قاما بحقه في التربية الصالحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾[٥] .

بعض أسباب صلاح الأبناء :

ومن دعاء المؤمنين : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[٦] ، وقد استحب العلماء الفتح على الصبي بكلمة الحمد والشهادة وتعليمه معاني السيرة وتحفيظه القرآن والحديث وتعويده الأخلاق والآداب الإسلامية، وفي وصية لقمان لابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[٧] .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) سورة الطور الآية « ٢١ » .
(٣) سورة يس الآية « ١٢ » .
(٤) سورة النجم الآية « ٣٩ » .
(٥) سورة النجم الآية « ٣٨ » .
(٦) سورة الفرقان الآية « ٧٤ » .
(٧) سورة لقمان الآية « ١٧ » .

حُسن اختيار الزوجة :

وحرص المسلم على الولد الصالح يجعله يُحسن اختيار الزوجة وأن تكون ذات دين ولأن المرأة راعية فى بيت زوجها مسئولة عن رعيتها وكما قال الشاعر :

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق

هذه الأم ستربى ابنها على البر والخير وعلو الهمة كحالة هند بنت عتبة عندما دخل عليها أحد أقاربها وكانت تحمل صغيرها معاوية بن أبى سفيان ، فقال لها : « إن عاش معاوية ساد قومه » فقال : « ثكلته إن لم يَسُد إلا قومه » وكحالة أم سفيان الثورى التى قالت لابنها : يا بنى اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلى ، وكانت تتخوله [١] ، بالموعظة والنصيحة وتقول له : « يا بنى إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى فى نفسك زيادة فى خشينك وحلمك ووقارك ، فإن لم تر ذلك ، فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك » .

أهمية الدعاء والذكر في ذلك :

ثم هو يستن بسنن الأنبياء والمرسلين فى دعائهم وسؤالهم ربهم الولد الصالح كما فى دعاء زكريا ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾ [٢] ، والعبد إذا ألهم الدعاء فإن الإجابة معه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [٣] ، ولا ينسى ما أمره رسول الله ﷺ به إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادماً ، فليقل : « اللهم إنى أسألك

---

(١) تتابعه من حين لآخر .
(٢) سورة مريم الآيات « ٥ ، ٦ » .
(٣) سورة غافر الآية « ٦٠ » .

خيرها ، وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه ، وإذا اشترى بعيراً ، فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك » (١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال** : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً » (٢) .

الآذان والتحنيك :

ويؤذّن فى أذن المولود عند ولادته ، لما رواه أبو رافع رضي الله عنه قال : « رأيت النبى ﷺ أذّن فى أذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة رضى الله عنها بالصلاة » (٣) ، ويحرص على تحنيك (٤) المولود ، فعن أبى موسى رضي الله عنه قال : « **ولد لى غلام فأتيت به النبى ﷺ فسماه إبراهيم ، وحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إلىّ** » (٥) ، وقالت عائشة رضى الله عنها : « **كان رسول الله ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعو لهم بالبركة ويحنكهم** » (٦) .

العقيقة وحسن اختيار الاسم :

ثم هو يختار لابنه اسماً حسناً ، لما رواه أبو داود رضي الله عنه قال : **قال رسول الله ﷺ** : « إنكم تُدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم » (٧) ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : **قال رسول الله ﷺ** :

---

(١) رواه أبو داود وحسنه الألبانى .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح .
(٤) أن يقوم من يظن فيه الصلاح بمضغ تمر وأخذ بعضه المختلط بريقه ليوضع فى فم الصبى .
(٥) متفق عليه .
(٦) رواه أبو داود وصحح الألبانى إسناده .
(٧) رواه أبو داود بإسناد حسن .

« **إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن** » [١]، والعقيقة عن المولود مسنونة عند الاستطاعة ، عن الغلام شاتان وأدناها واحدة ، وعن الجارية شاة واحدة ، وعن سلمان بن عامر الضبي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مع الغلام عقيقة ، فأهريقوا عنه دماً وأميطوا الأذى** » [٢] .

تعاهد الأبناء بمعاني التربية :

وكانوا يحرصون على تربية أولادهم تربية إسلامية متكاملة ، خلقياً وفكرياً وجسمانياً ويغرسون فيهم معاني الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، ويعودونهم حب الله ورسوله ﷺ ومراقبة الله تعالى في السر والعلن ويعلمونهم أحكام الحلال والحرام ويجنبونهم الكذب والسرقة والسباب والشتائم والخلطة الفاسدة والميوعة والانحلال والقدوة السيئة ، ويستحثونهم على الرياضيات البدنية النافعة ، ولذلك كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول : « **علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً** » .

دور المربي الصالح :

وكان الآباء يدفعون بأبنائهم إلى المربيين ويزودونهم بالنصائح ، فقد روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان ، لما دفع ولده إلى المؤدب قال له : « ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنيّ إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعلمهم سير الحكماء ، وأخلاق الأدباء ، وتهددهم بي ، وأدبهم دوني وكن لهم كالطبيب

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخاري .

الذى لا يعجل الدواء حتى يعرف الداء ولا تتكلن على عذر منى، فإنى قد اتكلت على كفاية منك » ، ولما دفع هارون الرشيد ولده الأمين إلى المؤدب قال له : « أقرئه القرآن وعرفه الأخبار ، وروّه الأشعار وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا فى أوقاته ، ولا تُمرَّنَّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن فى مسامحته، فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة .

مخاطر عظيمة تهدد صغارنا :

ومن الخطر العظيم أن نترك أولادنا لوسائل الإعلام الخربة كالتليفزيون ونحوه ، ومناهج التعليم العلمانية اللادينية وأبناء الأقارب والجيران الفاسدين والمجلات والبرامج التى تعوّد الأطفال الخياليات والخرافات والخزعبلات وحياة الأساطير ، فلا بد من تعاهدهم بكل صور الحفظ والصيانة ، لأنهم أمانة بين أيدينا ، ولتعلم أن قلبك وقلوبهم بيد الله سبحانه وما علينا إلا أن نأخذ بالأسباب الشرعية ونتوكل على خالق الأرض والسموات فى جلب النفع ودفع الضر ، وكان سعيد بن المسيب يطيل فى صلاته ويقول لابنه : والله إنى لأطيل فى صلاتى رجاء أن أحفظ فيك ويتلو قوله سبحانه : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ [1] ، فحفظ الأبناء بصلاح الآباء فاحفظ الله يحفظك ، واسأل الله من فضله فالخير كله بيديه والشر ليس إليه .



(١) سورة الكهف الآية « ٨٢ » .

﴿٣﴾ مكمن الداء في معظم مشاكل الزواج

كانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تقول : « النكاح رِقّ فلينظر أحدكم عند من يسترق كريمته » (أى ابنته) ، ولما سئل الحسن : « من أزوج ابنتى ؟ قال : زوجها التقى النقى فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يهنها » . وروى الترمذى بإسناد حسن عن أبى حاتم المزنى أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير** » ... **قالوا يارسول الله : وإن كان فيه ! قال** : « **إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه – ثلاث مرات – ومن زوج ابنته من فاسق فكأنما قطع رحمها** »

معنى الكفاءة :

الكفاءة معتبرة بالاستقامة والخلق والحرص على طاعة الله ، ولا بد من تحريها فى المتقدم للزواج من ابنتنا لأنها أمانة يحرم إضاعتها أو التفريط فيها ، وإن كان جمهور الفقهاء لا يقصرون الكفاءة على ذلك ، بل يرون أن ثمة أموراً أخرى لا بد من اعتبارها كالنسب والحرية والحرفة والمال والسلامة من العيوب ، إلا أنه ليس معنى ذلك إهدار أمر الاستقامة بل هو أولى ما يُنظر إليه بعين الاعتبار فى المتقدم للزواج .

انهيار الوالدين عند الكثرة :

من الملاحظ أن الكثرة من المسلمين بينما تدقق النظر فى الراتب والمسكن المناسب والعمل المناسب وهيئة وشكل المتقدم إلا أنها لا تكاد تلتفت لصلاته ولا لعقيدته ... بل بعض الأولياء إذا ما سُئل هل من قبلته زوجاً لابنتك يصلى

أم لا ؟ يجيب ويقول : خجلت من سؤاله فى ذلك ، بينما هو لم يخجل من سؤاله عن دخله الشهرى ... وغير ذلك من المعانى المادية ؛ ولذلك لا نستبعد أبداً أن يأمرها الرجل بعد الزواج أن تخلع نقابها أو حجابها أو يأمرها بترك صلاتها أو مصاحبة أصدقائه والتزين أمامهم ، وقد كان عمر رضي الله عنه يبعث لولاته ويقول لهم : ألا إن أهم أموركم عندى الصلاة ، ألا إن من ضيع الصلاة فهو لما سواها أضيع وهل مثل هذا يؤتمن على نفسه فضلاً عن أن يؤتمن على غيره ؟! وهذا الذى يمتلك السيارات والملايين هل تأمن عليه أن يبددها فى شرب الهيروين ولعب القمار ... ؟!! وهل نأمن عليها من أن تتحول إلى عقيدة شيعية أو صوفية أو خارجية أو إلحادية بسبب تسلطه على عقلها أو أن تخلع حجابها وتترك صلاتها بسبب قهره لها ؟! .

رفع الأمانة من القلوب :

قد بيّن النبى ﷺ كيف ترفع الأمانة من القلوب وأنه لا يبقى منها فى القلب إلا أثرها ؟ ، روى حذيفة رضي الله عنه قال : « **حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر « أصل » قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة وحدثنا عن رفعها قال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل (هو ما يكون فى الكف من أثر العمل بالأشياء الصلبة الخشنة) ، كجمر دحرجته على رجلك فنفط (بثرة ملأى ماء) فتراه منتبراً (تورم وامتلأ بالماء) وليس فيه شئ فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدى الأمانة فيقال : إن فى بنى فلان رجلاً أميناً ، ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ولقد أتى علىّ زمان وما أبالى أيكم بايعت ، لئن كان مسلماً رده**

عليّ إسلامه ، وإن كان نصرانياً رده عليّ ساعيه ، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا » (١) ، وما أكثر مظاهر تضييع الأمانة ، وما أكثر الموازين الفاسدة في حياة الناس وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ضُيّعت الأمانة فانتظر الساعة » ، **قال : كيف إضاعتها يارسول الله ؟ قال :** « إذا أُسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » (٢) .

ماذا تصنع الفتاة إذا أراد الولي تضييعها ؟! :

فإذا ضيع من يتولى أمر الناس الأمانة ، والناس تبع لمن يتولى أمرهم كانوا مثله في تضييع الأمانة ، فصلاح حال الولاة صلاح حال الرعية وفساده فساد لهم ، ثم إن إسناد الأمر إلى غير أهله دليل واضح على عدم اكتراث الناس بدينهم حتى إنهم ليولون أمرهم من لا يهتم بدينه ، ولكن ماذا تصنع الفتاة وهذا هو وليها شاءت أم أبت ولا نكاح إلا بولي ؟ .

إذا أعضلها الأقرب عن زواج الكفؤ الصالح ، زوجها الولي الأبعد ، والحاكم ولي من ولا ولي له ، وإن تخربت الموازين عند الولي فليس لها أن تفرط في حق نفسها وعليها أن ترفض الزواج بتارك الصلاة ومن لا يقيم لشرع الله وزناً حتى وإن كان عنده الملايين والسلامة لا يعدلها شئ ، ودين الإنسان هو أغلى ما يملك ، والدنيا بأسرها لا تصلح عوضاً عن معنى من معاني الآخرة .

---

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه البخاري .

﴿ ٤ ﴾ طريقة فض الخصومات والمشاحنات والمنازعات

أصبح الإنسان المعاصر لا يفكر إلا فى عضلاته وجوارحه ويعوِّل على حوله وطوله ويتباهى بعقله ورأيه وينزل فى حكمه على العرف والعادة ، وكلها من أسباب نكده وتعاسته ، وصورة من صور الطغيان المادى الذى أصبح يجرى منا حتى النخاع ، ويحدث على مستوى الأفراد والدول والجماعات . إذا حدثت الخصومة أو ثارت مشكلة ، فالأعراف لا تقتصر على أعرافنا بل تتعداها إلى الأعراف الدولية ، وهناك شريعة لأهل البوادى « سِلْوَهم » وشرعية دولية ، ونظام لكل دولة ثم النظام العالمى الواحد ، إذا كان هذا هو مسلك من كفر بالله أو انحرف عن منهجه سبحانه فإن المسلم له شأن وللناس شأن ، لأنه يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمداً ﷺ نبياً ورسولاً ، ولذلك فهو يعلم أنه لا حول ولا قوة إلا بالله وأنه لا تغير من حال إلى حال إلا بفضل الله .

للمسلم شأن وللناس شأن :

ولذلك إذا حدثت المشكلة أو ثارت الخصومة فهو يدعو ربه لمعرفته أن العبد إذا أُلهم الدعاء فإن الإجابة معه ويستغفر ربه ، ولأن من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً و من كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب ، ويسترجع لقول النبى ﷺ : « **ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله ، إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيراً منها إلا آجره الله فى مصيبته وأخلف له خيراً منها** » [1] . كما أنه يحرص على طاعة ربه فهى سبب كل خير وصلاح ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ

---

(١) رواه مسلم ومالك وأبو داود .

حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾[١] ، قال العلماء : لو أن الخلق جميعاً أخذوا بها لكفتهم وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾[٢] ، فمن كان الله معه فمن عليه ، معه الفئة التي لا تغلب والحارس الذى لا ينام والهادى الذى لا يضل : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) ﴾[٣] ، ويقلع المسلم عن المعاصى والذنوب فهى سبب التسليط وحلول المصائب بالبلاد والعباد : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠) ﴾[٤] ، وكان بعض العلماء يقول إنى لأعصى الله فأعرف ذلك فى خلق دابتى وخادمى وامرأتى ، فياليتنا نتهم أنفسنا قبل اتهام الآخرين ويقول كل منا لنفسه منك أوتيت ، ثم لا بد من العفو والصفح وكظم الغيظ لقوله سبحانه: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[٥] ، فنقول بلى ياربنا على كثرة خطايانا نحب أن تعفو عنا ، فكذلك إذا ثارت الخصومة مع الزوجة أو غيرها وقالوا :كن كالشجر يُقْذَف بالحجر فيلقى الثمر : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾[٦] ، فلا يجوز مواجهة الخطأ بالخطأ ولا المعصية بالمعصية ، فقد أمرنا أن نتقى الله فيمن لا يتقى الله فينا ، وأن نعدل فيمن جار علينا وأن نعين العباد على طاعة الله بدلاً من إعانة الشياطين على نفوسهم ، كما أنه لا بد من الاستعانة

---

(١) سورة الطلاق الآية « ٢ ، ٣ » .
(٢) سورة النحل الآية « ١٢٨ » .
(٣) سورة محمد ﷺ الآية « ٧ » .
(٤) سورة الشورى الآية « ٣٠ » .
(٥) سورة النور الآية « ٢٢ » .
(٦) سورة آل عمران الآية « ١٣٤ » .

بالصبر والصلاة : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) ﴾[1] ، والواجب علينا أن نرد الحقوق لأصحابها ونتحلل من حقوق الآدميين وننزل على حكم الله تعالى .

رد حكم ما تنازعنا فيه لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ :

يقول سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩) ﴾[2] ، فمن مقتضيات الإيمان أن نرد حكم ما تنازعنا فيه لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، لا نرده للعرف والعادة ، ولا نرده للعقل ولا للرأى ، ولا نُحكِّم النظم الوضعية والقوانين الطاغوتية الكفرية ولا نلتفت للنظام العالمى الواحد ولا للأمم المتحدة إذا خالفت قوانينها حكم الله جلا وعلا ، فالدين ما شرعه سبحانه لا هذه الشرعية الدولية المزعومة ، والواجب على المسلمين أن يذعنوا لأمر ربهم وأن يخضعوا لحكمه ، إن كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر وإلا فليتخذوا لهم رباً سواه : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾[3] ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا (٣٦) ﴾[4] ، فليس لنا أن نختار مع الله أو مع رسول الله ﷺ ، بل حكى الشافعى إجماع الصحابة فمن بعدهم على أنه من

---

(١) سورة البقرة الآية « ٤٥ » .
(٢) سورة النساء الآية « ٩٥ » .
(٣) سورة الشورى الآية « ٢١ » .
(٤) سورة الأحزاب الآية « ٣٦ » .

استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس أياً كان وقال سبحانه : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [(١)] ، إنه التسليم لحكم الله ظاهراً وباطناً ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [(٢)] ، فلا نجد غضاضة ولا ضيقاً ولا حرجاً من حكمه سبحانه ، وسواء كانت الخصومات على مستوى الأفراد أو الدول والجماعات ، بل أهل الكتاب إذا رفعوا إلينا قضية أو كانت الخصومة بينهم وبين السملمين حكمنا فيهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، ولا بد من الحذر من أن نتصف بصفة المنافقين الذين وصفهم ربنا بقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [(٣)] ، فسماهم ربنا منافقين رغم ادعائهم الإيمان .

نصائح غالية تصلك بالناس :

من السهل اليسير أن نهدم علاقاتنا بالآخرين إذا تجارى الإنسان مع هواه أو وساوس الشياطين فلنكن على حذر وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم

---

(١) سورة النساء الآية « ٦٥ » .

(٢) سورة النور الآية « ٤٩ ، ٥٠ » .

(٣) سورة النساء الآية « ٦٠ ، ٦١ » .

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ [١] ، وقل كما قال أبو بكر : « **والله أنا كنت أظلم** » أو كما قال الرجل الذى أصبح النبى ﷺ بينه وبين خصمه : « **حقى لأخى** » وإذ كنت غاضباً فاجلس وإلا فنم أو قم وتوضأ فسيذهب غضبك وتنتهى المشكلة بسلام بإذن الله ، ولا داعى للفجر فى الخصومة فإن من خصال المنافقين : « إذا خاصم فجر » والطاعة مطلوبة فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، فلا تكن ممن يعبد الله على حرف ، ولا تنسى قيمة الهدية فى غرس معانى المحبة : « تهادوا تحابوا » وادفع بالتى هى أحسن السيئة ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن . وجماع حسن الخلق أن تعطى من حرمك وأن تصل من قطعك وأن تعفوا عمن ظلمك ، وتذكر أن خير المتقاطعين من يبدأ السلام .

---

(١) سورة الإسراء الآية « ٥٣ » .

﴿ ٥ ﴾ التخصصات انفصلت عن معاني الإيمان فزادت المشاكل حدة

ماهى الصبغة التى انصبغ بها الفلكى والسياسى والمدرس والطبيب والأديب والمفكر والمربى ومن يقوم بحل مشاكل الناس .... ؟! وهل هذه المهمات والمهن تشبع أهلها بروح الإيمان ؟! وحتى إن صلوا وصاموا وزكوا وحجوا فهل علموا أن معنى العبادة شامل لعملهم ولابد من الاستقامة فى هذه الأعمال على الكتاب والسُّنة ؟! .

انقسامات مريبة :

لا يخفى عليك كيف انفصلت الأرض عن السماء والدنيا عن الآخرة والروح عن الجسد وبعض العبادات عن البعض الآخر وبعض الرجال عن البعض الآخر وبعض الساعات عن البعض الآخر ، بعد أن كانت كلها حسبة واحدة وتوزن بميزان واحد ، فلا فاصل بين الأرض والسماء ، فعملك هنا ونظرك فى السماء ، والأرض تستقيم على الوحى المنزل ، وعملنا هنا وحساباتنا حسابات أخروية ، ولأننا ننتقل من حياة إلى حياة فالدنيا أمامنا ممتدة زماناً إلى أبد الآبدين ومكاناً لجنة فيها مالا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشكر ، والنبى ﷺ يقول : « **إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فإن له بذلك أجره** » ، ووسع فى مفهوم الصدقة فقال : « **تبسمك فى وجه أخيك صدقة** » ، والعبادة مفهوم واسع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، والنبى ﷺ بعد أن أقام المسجد دخل السوق ونظمه .

أصبحنا نعيش بوجهين وبمفهومين :

والرجال كلهم يجب أن يستقيموا على أمر ربهم فى أقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم سواء كانوا حكاماً أو محكومين ... فلكيين أو مفكرين ، لقد نشأت أجيال وطوائف تعيش بوجهين وبمفهومين وبولاءين ، وجه لها فى المسجد فيه أمارات التقى وعلامات الصلاح والثانى فى السوق فيه الربا والغش وكل صور الضياع ويتوهمون بذلك أنهم قد أدوا كل ما عليهم وقس على ذلك بقية المهن والأعمال وما عسى الواحد من هؤلاء بعد ذلك إلا أن يموت قرير العين وكأنه أدى ما عليه من أمانة وأكل بعرق جبينه كما يقولون !! .

ساعة لربك وساعة لنفسك :

وتولدت المقولة : « ساعة لربك وساعة لنفسك » تبريراً للمعاصى والفجور وتقليداً لمنطق الجاهلية الأولى : « اليوم الخمر وغداً أمر » وقالوا « دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وقصروا بدورهم معنى الإسلام والعبادة والطاعة على مجرد الصلاة والصيام والزكاة والحج وهذا فى أحسن وأصلح أحوالهم وإلا فهناك جمهرة كبيرة تعيش بالنوايا الطيبة والقلوب البيضاء حتى دون صلاة ولا صيام!! ويقولون : ربك رب قلوب وهؤلاء أشبه بالمرجئة الذين فصلوا العلم عن العمل وقالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب .

الكفر بالله للحاق بركب الحضارة والتقدم :

وأفسد من هؤلاء وأولئك من كفر بخالق الأرض والسموات وترك دين ربه وراءه ظهريا بزعم اللحاق بركب الحضارة والمدينة وظناً منه أن الدين يقف معترضاً فى طريق العلم كحالة الكنيسة مع العلم المادى التجريبى فى أوربا ، فوصف بعض بنى جلدتنا دين الله بأنه رجعية وتخلف وجمود ... وهؤلاء

راجت عليهم حيل التغريب وتخييل الغزو الفكرى ، وإلا فديننا يأمرنا بالأخذ بأسباب القوة : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [(١)] ، « والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ، كما فى الحديث : والعلوم النافعة تؤخذ من كل من أفلح فيها كالزراعة والصناعة والهندسة والطب ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [(٢)] ، أى التى هى أسد وأعدل فى كل ناحية من نواحى الحياة ، أما علوم الهداية فلا تؤخذ إلا من الكتاب والسُّنة ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [(٣)] ، والعبادات تؤخذ دون زيادة أو نقصان ، أما المعاملات : فالأصل فيها الإباحة إذا روعيت ضوابطها الكلية مثل لا ضرر ولا ضرار ، إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، فطالما لا تتصادم وسائل التطور والتقدم مع ما جاء فى الكتاب والسنة فلا حرج فى اعتبارها والأخذ بها .

حالة الفلكى المعاصر :

وبعد هذا الإجمال والاختصار فلو نظرنا فى المهمات والأعمال لوجدنا عجباً فالفلكى يتكلم فى إثبات الرؤية بالحساب الفلكى دون الالتفات لقوله سبحانه : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [(٤)] ، ولا علاقة له بقول النبى ﷺ : « صوموا لرؤيته منكم وأفطروا لرؤيته » ويتكلم بمقياس ريختر وكأنه لم يسمع ولم يقرأ عن عظيم قدرة الله وأن خالق الأسباب قادر على تعطيلها ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) ﴾ [(٥)] ،

---

(١) سورة الأنفال الآية « ٦٠ » .
(٢) سورة الإسراء الآية « ٩ » .
(٣) سورة المائد الآية « ٣ » .
(٤) سورة البقرة الآية « ١٨٥ » .
(٥) سورة يس الآية « ٨٢ » .

ويستهجن بشدة الحديث عن آثار الذنوب والمعاصى فى حدوث الزلازل ، فهى عبارة عنده عن عدم استقرار فى القشرة الأرضية ... وبكل جرأة وكذب سيقول الزلزال لن يتكرر مرة ثانية أو لن يحدث بالليل كما سمعنا !! ولا يردعه رادع من أن يتكلم عن المطر الغزير الذى سيحدث غداً والرياح الشمالية العكسية ... ولا يمكن أن يتنزل مثلاً ويعلق الأمر على المشيئة ويقول إن شاء الله ، بل سيسخر من ذلك سخرية شديدة ، لأنها حسابات علمية عنده !! حتى وإن استبان للناس خطأه مرات ومرات فلا مطر حدث ولا رياح هبت وفى الحديث : « **من قال مُطرنا بنوء كذا فذلك كافر بى ، مؤمن بالكوكب** » .

سياسي مكيافيلي :

والسياسي لا علاقة عنده بدين الله فالسياسة شئ والدين شئ آخر ، أو بتعبير آخر لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين ، ويعبر البعض بتعبير آخر على سبيل الاستهجان فيقول : تديين السياسة وتسييس الدين ، ومن المعلوم شرعاً أن هذا هو أقصر طريق إلى الكفر كما قال العلماء ، فلا فاصل بين الدين والسياسة ، إذ الخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به : ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)** ﴾ [١] ، فالإسلام شامل لكل ناحية من نواحى الحياة سواء كانت سياسة أو اقتصادية أو اجتماعية أو أخلاقية ، والنبى ﷺ حكم الأمة فى

---

(١) سورة المائدة الآيات « ٤٩ – ٥٠ » .

حربها وسلمها وأبرم المعاهدات وأتم المفاوضات ونزل فى ذلك كله على وحى ربه ، ولذلك فلسنا بحاجة لسياسات مكيافيلية تبرر الغاية فيها الوسيلة فوسائلنا مشروعة وغاياتنا يجب أن تكون محمودة ، ولنعلم أن النظم الإدارية لا حرج فيها إذا لم تتصادم مع الشرع وكان من شأنها تحقيق مصلحة العباد .

مدرس أشبه بلوحة نخرة :

والمدرس ، قد يكون أشبه بلوحة نَخِرة فى سفينة فى عرض المحيط فهو لم ينصبغ أثناء دراسته بحياة الإيمان ، ولا هو وضع طاعة ربه نصب عينيه بعد أن تقلد مهمة التدريس ، والتعليم عندنا إما تعليم علمانى أو تعليم تبشيرى ، وعلى المدرس أن يجتهد وأن يعرق فى نقل حضارة الفراعنة ونظرية دارون والخصائص الطبيعية وزعامة سعد زغلول ومعانى القومية والاشتراكية للطلاب !! حتى وإن خالفت عقيدته وعقيدة أبناء المسلمين ، فهذه هى مهنته ومهمته التى يؤديها بل لقد تحصل بعض الأساتذه على الدكتوراه من البلدان الشيوعية وجاءوا إلى بلدان المسلمين ينفثون سمومهم فى جسد هذه الأمة .

صبغ المناهج بصبغة الإسلام :

فأين الأمانة وتأدية الرسالة ، وتنقية العلوم من كل ما يخالف دين الله ؟ ولماذا لا نصبغ الجغرافيا والتاريخ صبغة إيمانية ونتخول الطلبة العظات والعِبر التى تحبب إليهم معانى الإيمان ؟ إن اللسان الذى صيغت به العلوم – حتى وإن كانت حقة – فليس عالمياً بل هو لسان محلى ، ولسنا أقل من الشيوعيين الذين رفضوا تربية أجيالهم على علوم الغرب الليبرالية وأعادوا صياغة العلوم صياغة ماركسية حتى تتواصل حلقاتهم وأجيالهم ، وإذا كانت مواد التدريس قد فصِّلت على غير أجسام المسلمين ، فالواجب علينا أن نتقى الله فى ديننا

وفى أبناء أمتنا ودورك كبير أخى المدرس فى القيام بهذا الواجب ، فتعلم أمر دينك واعمل به وادع الدنيا بأسرها وأبناءك الطلاب للاستقامة عليه .

نحتاج طبيباً مسلماً :

وهل فكر الطبيب فى الدعاء لمريضه بالشفاء أو رقيته أو حثه على الصلاة ؟ وهل نظر للأدوية المستخدمة وهل هى حلال أم حرام ؟ وهل حرص على ستر المريضة وعدم الانفراد بها فى حجرة الكشف ؟ ... أمور كثيرة لعله لم يفكر فيها اكتفاءاً بالقراءة فى كتب الطب وتعلم كيفية تشخيص الداء ووصف الدواء العضوى المادى المناسب ، ولا حرج فى القراءة والإطلاع ولكن لا ينبغى أن يكون المسلم كحاطب بليل يوشك أن يحمل حية تلدغه ولابد من صبغ الحياة بدين الله والأمر سهل ويسير على من يسر الله عليه فياليتك تتعرف على الطب النبوى وتكون طبيباً للقلوب والأبدان ، فتعلم أمر دينك وأتقن معانى الإيمان كما أتقنت علوم الطب وإلا فمن تطبب بغير طب فهو ضامن وقد قال رسول الله ﷺ : « **تداووا عباد الله ولا تتداووا بحرام** » ، وقال ﷺ : « **وما جعل الله شفاء أمتى فيما حُرم عليها** »

رسالة للأديب والمفكر والشاعر :

وأنت أخى الأديب والمفكر والشاعر ... عقلك وقلمك أمانة عندك فلا داعى لإشاعة الفاحشة فى الذين آمنوا ، واشغل فكرك بذكر الله ومعرفة نعمه وعظيم قدرته فى خلقه وما بثه فى كونه من آيات باهرات ، ولا تشغل الناس بالأدب الغريزى وأدب الجنس !! فلا تأدب فى ذلك لا مع الله ولا مع المخلوقين ولا تعتذر بالمشاعر الفياضة والأحاسيس والوجدانات الصادقة !! واضبط عقلك وفكرك قلمك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فإذا وجدت مشاعرك بضد ذلك

فأنزلها منزلة الوساوس التى لأن تخر من السماء إلى الأرض لكان أهون عليك من أن تجدها ، دورك كبير إن أنت اتقيت الله وقمت بواجب الدعوة إليه سبحانه ، ياليتك تدعم جانب النقص الموجود فى قصص الأطفال ، نحتاج لقصص إسلامى بلا خرافات ولا شعوذات ، ولا أساطير ولا كذب ، كما نحتاج أيضاً لمراجعة هذا التفلت وهذا العبث الذى يطلق عليه اسم الفكر الحر المستنير والذى هو شبيه بالفن السريالى والشعر والحر . وباختصار نحن بحاجة لمراجعة حياتنا وفق ما جاء فى كتاب الله تعالى وسُّنة نبيه ﷺ .

إليك أيها المربي :

وأنت أخى المربى ، اعلم أن السلوك مرآة الفكر ، والاستقامة هى أعظم كرامة ، فلا تكتفى بنظريات دور كايم ونظريات الاجتماع ومعانى التربية المأخوذة عن الغرب والتى تُعلى من شأن الجنس وعظمة الرجل الأوربى وتجحد وجود الخالق جل وعلا ، لقد زيف الغرب نظريات واعتبروها علوماً ودرستها الجامعات على أساس ذلك وهى أشبه بزبالات كنظرية فرويد فيما يتعلق بالجنس وماركس فيما يتعلق بالبطن وداروين فيما يتعلق بالتطور والنشوء والارتقاء ودور كايم فيما يتعلق بنسبية الأخلاق ، إن أنظار تلامذتك مسلطة على أفعالك قبل أقوالك والدعوة بالسلوك أبلغ من الدعوة بالقول ونحن بحاجة لجيل يتربى تربية إسلامية حتى يفكر بعقلية المسلمين ويقود البلاد قيادة إسلامية فاستعن بالله على ذلك .



أين البركة ؟

لقد انتزعت البركة من الأقوال والأفعال ، والأعمال والأموال ، والطعام والشراب . إن نظرة سريعة ومقارنة يسيرة بين ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم وبين ما نحن عليه الآن ، لتوضح لك كيف امتلأت حياتهم بركة بينما غابت البركة من حياتنا ، فمنهم من كان يقوم الليل بالقرآن كله فى ركعة واحدة ، أو يظل يردد آية واحدة طوال الليل ، كحالة عثمان بن عفان وتميم الدارى وأسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهم أجمعين .

لا نصلح مقياساً لهؤلاء الأفاضل :

ونحن اليوم عندما نقرأ ذلك نستغربه بشدة ذلك لأننا نقيسه بما نحن فيه ولا شك أننا لا نصلح مقياساً وميزاناً لهؤلاء الأفاضل ، وقرأنا وطالعنا كيف خرجوا يجاهدون فى سبيل الله ، ويتناوبون البيعر الواحد ، منهم من يركب ومنهم من يمشى ويسيرون مئات الأميال كما حدث فى ذات الرقاع وغزوة تبوك ، ويظهرون قوة عظيمة فى قتال الأعداء وكانوا يبكون إذا حيل بينهم وبين الخروج لملاقاة الأعداء كما حدث من السبعة الذين أرجعهم النبى ﷺ عن غزوة تبوك ، فقد رجعوا وهم يبكون : ﴿ وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ (٩٢) ﴾ (١) ، وكانوا سيخرجون لملاقاة الروم فى عام شديد الحر بعد أن طابت الثمار ، فأين نحن من ذلك ؟!!.

---

(١) سورة التوبة الآية « ٩٢ » .

عظيم قوة النبى ﷺ :

وقد صارع النبى ﷺ ركانة ثلاث مرات فغلبه ، على الرغم من أن ركانة أحد مشاهير العرب فى القوة ، وكان يتعبد قبل ذلك فى غار حراء الليالى ذوات العدد وتزوده أم المؤمنين خديجة لمثلها ، ووقف يوم حنين بمفرده بعد أن انكشف أصحابه يقول : « **أنا النبى لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب** » ، وكان يقوم الليل حتى تتورم قدماه الشريفتان فإذا قيل له فى ذلك ، قال : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** » ، ويطوف على نسائه فى ليلة واحدة ، وحكى لنا كيف طاف نبى الله سليمان على مائة امرأة فى يوم ، وكان النبى ﷺ يواصل الليل بالنهار فى سبيل إبلاغ الحق إلى الخلق ، فهل كان ذلك بسبب الوجبات الكاملة التى تحتوى على البروتينات والأملاح والفيتامينات ... نحن عندما نطالع السنن نجد أن النبى ﷺ ربط الحجر على بطنه من شدة الجوع يوم الأحزاب على الرغم من ثباته ، وكانت تمر عليهم الأيام والليالى ولا يوقد فى بيته نار صلوات الله وسلامه عليه ، ومات ودرعه مرهونة عند يهودى .

كانوا فرساناً بالنهار رهباناً بالليل :

كانوا لربما أكلوا ورق الشجر الأيام الطوال ، وكانوا إذا وجدوا أكلوا أكل الرجال ، وإذا فقدوا صبروا صبر الجمال وعلى الرغم من ذلك كانوا فرساناً بالنهار رهباناً بالليل وعن عروة عن عائشة أنها كانت تقول : والله يا ابن أختى إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى بيت رسول الله ﷺ نارٌ : قال « أى عروة » قلت : يا خالة « يقصد أم المؤمنين عائشة » فما كان يعيشكم قالت : **الأسودان** : **التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيرانٌ من الأنصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون**

إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه » [١] .

البركة فى المجهولات والمبهمات :

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : توفى رسولُ الله ﷺ « وما فى رَفِّى مِن شىءٍ يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رقٍ لى فأكلتُ منه حتى طال علىَّ فكلتِه فَفَنى » [٢] . قال النووى وفى شرح هذا الحديث إن البركة أكثر ما تكون فى المجهولات والمبهمات وأما الحديث الآخر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فقالوا : المراد أن يكيله منه لأجل إخراج النفقة منه بشرط أن يبقى الباقى مجهولاً ويكيل ما يخرجه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل » أ . هـ .

مظاهر قلة البركة :

لقد كثرت حساباتنا المادية وتعلقنا بالدرهم والدينار ولم نلتفت إلا للبروتينات والفيتامينات ، فكانت الطراوة والليونة والضعف الظاهر عند الرجال والنساء ، فهل منا من يقوى على صعود مثل جبل حراء والمكث فيه الليالى ذوات العدد « على سبيل الافتراض وإلا فلا يجوز ذلك » ؟ وهل منا من يقوى على السير أميالاً لملاقاة عدو ويبكى إذا مُنع من ذلك ؟ وهل منا من يثبت فى مواجهة الأعداء مع ربطة الحجر على بطنه ؟ وهل من نساءنا من تقدر وتقوى على الحمل والوضع مرات كثيرة ولربما قامت الأم على خدمة أولادها فى نفس يوم وضعها وولادتها ، أم أن طاقتها لم تعد تحتمل إلا ولادة واحدة أو اثنين أو ثلاثة وتعتذر بالضعف الظاهرة على الرغم من تناول البروتينات والفيتامينات ؟ .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .

البركة تتناقص من جيل إلى جيل :

فإذا انتقلنا إلى الأجيال التى أتت بعد ذلك لوجدنا أن الأمة توارثت هذه البركة جيلاً بعد جيل ، وإن خفت حدتها وصورتها من جيل إلى الذى بعده ، انظر إلى علم الأئمة الأربعة وكيف انتشرت مذاهبهم وبلغت الأفاق على الرغم من عدم وجود دوائر الاتصال الحديثة ، وانظر كيف ألف العلماء المؤلفات العظيمة ، وهل بمقدور أحدنا الآن أن يكتب مثلها فى مثل هذا الزمن ؟ إن الإجابة معلومة مسبقاً ، لقد امتلأت أيامهم بالطاعات المتنوعة علماً وتعليماً وذكراً وتسبيحاً ، صلاة وقياماً ، جهاداً وتصنيفاً ... ماذا نقول عن حياة مباركة ؟ ، أما نحن فنفتتح اليوم ونختمه بلا عمل يُذكر ، وإن وجد فلا يُقارن بما قرأناه فى حياة هؤلاء الأعلام ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على قلة صلاحنا من جهة ، وتقارب الزمان من جهة أخرى فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان** » [١] . وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ، ويكون الشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كاحتراق السعفة** » [١] .

المراد بتقارب الزمان :

قال يوسف بن عبد الله الوابل فى كتاب أشراط الساعة : وللعلماء أقوال فى المراد بتقارب الزمان منها :

﴿١﴾ أن المراد بذلك قلة البركة فى الزمان ، قال ابن حجر : « قد وجد فى زماننا هذا فإننا نجد من سرعة مر الأيام ما لم نكن

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه أحمد والترمذى وقال ابن كثير اسناده على شرط مسلم .

نجده فى العصر الذى قبل عصرنا هذا » .

﴿٢﴾ أن المراد بذلك هو ما يكون فى زمان المهدى وعيسى عليه السلام من استلذاذ الناس للعيش وتوفر الأمن وغلبة العدل وذلك أن الناس يستقصرون أيام الرخاء وإن طالت وتطول عليهم مدة الشدة وإن قصرت .

﴿٣﴾ أن المراد تقارب أحوال أهله فى قلة الدين حتى لا يكون منهم من يأمر بمعروف وينهى عن منكر لغلبة الفسق وظهور أهله وذلك عند ترك طلب العلم خاصة والرضى بالجهل وذلك لأن الناس لا يتساوون فى العلم فدرجات العلم تتفاوت كما قال تعالى : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [1] . وإنما يتساوون إذا كانوا جهالاً .

﴿٤﴾ أن المراد تقارب أهل الزمان بسبب توفر وسائل الاتصالات والمراكب الأرضية والجوية السريعة التى قربت البعيد .

﴿٥﴾ أن المراد بذلك هو قصر الزمان وسرعته سرعة حقيقية وذلك فى آخر الزمان وهذا لم يقع إلى الآن ويؤيد ذلك ما جاء أن أيام الدجال تطول حتى يكون اليوم كالسنة وكالشهر وكالجمعة فى الطول ، فكما أن الأيام تطول فإنها تقطر وذلك لاختلال نظام العالم وقرب زوال الدنيا .

كلام قيم جداً لابن أبى حمزة :

قال ابن حمزة : يحتمل أن يكون المراد بتقارب الزمان قصره على ما وقع في حديث : « **لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر** » ، وعلى هذا

---

(١) سورة يوسف الآية « ٦٧ » .

فالقصر يحتمل أن يكون حسياً ويحتمل أن يكون معنوياً ، أما الحسى : فلم يظهر بعد ولعله من الأمور التى تكون قرب قيام الساعة ، وأما المعنوى : فله مدة منذ ظهر يعرف ذلك أهل العلم الدينى ومن له فطنة من أهل السبب الدنيوى ، فإنهم يجدون أنفسهم لا يقدر أحدهم أن يبلغ من العمل ما كانوا يعملونه قبل ذلك ويشكون ذلك ولا يدرون العلة فيه ، ولعل ذلك بسبب ما وقع من ضعف الإيمان لظهور الأمور المخالفة للشرع من عدة أوجه ، وأشد ذلك الأقوات ففيها من الحرام المحض ومن الشبه ما لا يخفى حتى إن كثيراً من الناس لا يتوقف فى شئ ، ومهما قدر على تحصيل شئ هجم عليه ولا يبالى والواقع أن البركة فى الزمان وفى الرزق وفى النبت إنما يكون من طريق قوة الإيمان واتباع الأمر واجتناب النهى والشاهد لذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [1] . أ . هـ .

البركة المنزوعة ترد قرب قيام الساعة :

ولا سبيل لإنكار البركة شرعاً وواقعاً ، فقد بين رسول الله ﷺ فى أحاديث علامات الساعة كيف أن الدجال يخرج وينزل المسيح حتى يدركه بباب لُدّ «وهو بفلسطين » فيقتله ، ثم تخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيهلكهم ربنا جل وعلا ببركة دعاء المسيح عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام ثم يرسل الله مطراً لا يُكِنُّ منه بيت مدر ولا وبر فيغسلُ الأرض حتى يتركها كالزلقة ثم يقال للأرض : أنبتى ثمرتك وردى بركتك فيؤمئذ تأكل العصابة [2] من الرمانة ويستظلون بقحفها [3] ويباركُ فى الرِّسل [4] حتى أن

(١) سورة الأعراف الآية « ٩٦ » .
(٢) الجماعة .
(٣) قشرتها الفارغة .
(٤) اللبن .

اللقحة [١] من الإبل لتكفى الفآم [٢] من الناس واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ [٣] من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون [٤] فيها تهارج الحُمُر فعليهم تقوم الساعة » [٥] ، وواضح من الحديث أن البركة المنزوعة تُرد إلى الأشياء قرب قيام الساعة .

البركة من الله وسببها الطاعة :

وقد وردت الآيات تبين أن البركة من الله ، وأنه سبحانه بارك فى بعض مخلوقاته ، وأنها لا تُطلب إلا بطاعته ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) ﴾ [٦] ، وقال : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) ﴾ [٧] ، وقال عن نبيه موسى عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ [٨] ، وقال عن نبيه عيسى عليه السلام : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ [٩] ، وقال سبحانه : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا ﴾ [١٠] ، وقال جل وعلا عن بنى إسرائيل لما استقاموا :

---

(١) التى تَدُرُّ اللبن .
(٢) الجماعة .
(٣) دون القَبيلة .
(٤) يجامع الرجال النساء علانية مثل الحمير .
(٥) رواه مسلم .
(٦) سورة آل عمران الآية « ٩٦ » .
(٧) سورة ق الآية « ٩ » .
(٨) سورة القصص الآية « ٣٠ » .
(٩) سورة مريم الآية « ٣١ » .
(١٠) سورة فصلت الآية « ١٠ » .

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾[١] ، وقال عن نبيه ﷺ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾[٢] ، وقال عن نبيه سليمان عليه السلام : ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾[٣] ، وفى معرض الثناء على نفسه سبحانه يقول : ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٥٤ ﴾[٤] ، وقال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ۝١ ﴾[٥] ، ووصف كتابه فقال : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[٦] ، وقال : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٥٥ ﴾[٧] ، وقال : ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۝٥٠ ﴾[٨] ، والآيات فى ذلك كثيرة .

تعطلت المصالح والمنافع فى ظل الطغيان المادى :

فالواجب علينا أن ننتبه وإلا فقد تعطلت كثير من المنافع والمصالح والخيرات بسبب الطغيان المادى المعاصر وتعلق الإنسان بحوله وطوله وذكائه ... ونسيانه ربه وطاعته سبحانه والتى هى من أعظم أسباب السعادة وحصول الرزق

---

(١) سورة الأعراف الآية « ١٣٧ » .
(٢) سورة الإسراء الآية « ١ » .
(٣) سورة الأنبياء الآية « ٨١ » .
(٤) سورة الأعراف الآية « ٥٤ » .
(٥) سورة الفرقان الآية « ١ » .
(٦) سورة الأنعام الآية « ٩٢ » .
(٧) سورة الأنعام « ١٥٥ » .
(٨) سورة الأنبياء الآية « ٥٠ » .

ومن ذلك ما ورد عن سلمان الفارسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر** » وقد أورد الغُمَّارى عدة روايات فى هذا المعنى تحت عنوان : « باب من بر والديه زاد الله فى عمره » ثم قال : « قد تُسْتَشْكَل هذه الأحاديث مع ما تقرر من أن الآجال مقدرة لا تزيد ولا تنقص : ﴿ **جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [(١)] .

كيف نفسر زيادة العمر والرزق :

قد أجاب العلماء عن هذا بأجوبة :

الأول : أن الزيادة على حقيقتها ، وذلك بالنسبة إلى علم المَلَك الموكل بالعمر ، وأما الأول : الذى دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى كأن يقال للملَك مثلاً : إن عمر فلان مثلاً مائة ، إن بر والديه وستون إن عقهما وقد سبق فى علم الله أن يبر أو يعق فالذى فى علم الله لا يتقدم ولا يتأخر ، والذى فى علم المَلَك هو الذى يمكن فيه الزيادة والنقصان وإليه الإشارة بقوله تعالى :﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)** ﴾ [(٢)] ، فالمحو والإثبات بالنسبة لما فى علم المَلَك ، وما فى أم الكتاب هو الذى فى علم الله تعالى فلا محو فيه البتة ويقال له : القضاء المبرم ، ويقال للآخر : القضاء المعلق .

الثاني : أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت ، حكاه القاضى عياض فى الإكمال وضعفه النووى فى المناهج ، ونحوه للطيبى فى شرح المشكاة ، فإنه قال بعد كلام له : ويجوز أن يكون المعنى أن الله يبقى أثر

---

(١) سورة النحل الآية « ٦١ » .
(٢) سورة الرعد الآية « ٣٩ » .

واصل الرحم فى الدنيا طويلاً فلا يضمحل سريعاً كما يضمحل أثر قاطع الرحم ، ومن هذا قول الخليل عليه السلام : ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ (٨٤) ﴾ [(١)] .

الثالث : ما أخرجه الطبرانى فى الصغير بسند ضعيف عن أبى الدرداء قال ذكر رسول الله ﷺ : « **من وصل رحمه أُنسئ له فى أجله** » ، فقال إنه ليس زيادة فى عمره ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ﴾ [(٢)] ، لكن الرجل تكون له الذرية الصالحة ويدعون له من بعده » ، وعنده فى الكبير من حديث أبى مشجعة الجهنى : « **إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها وإنما زيادة العمر ذرية صالحة** » .

الرابع : أن المراد نفى الآفات عن صاحب البر فى فهمه وعقله وبه جزم ابن فورك ، وقال غيره : نفى الآفات عنه فى جميع شئونه .

الخامس : أن الزيادة فى الأوقات المعدودة لا فى الأنفاس المحدودة ذكره المناوى فى التسير .

السادس : وهو الذى ارتضاه الجم الغفير وصححه النووى أن الزيادة كناية عن البركة فى العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته مما ينفعه فى الآخرة وصيانته عن تضييعه فى غير ذلك ، قال الحافظ : ومثل هذا ما جاء أن النبى ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر . وحاصله أن البر يكون سبباً للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت ومن جملة ما يجعل له من التوفيق العلم

---

(١) الشعراء الآية « ٨٤ » .
(٢) سورة الأعراف الآية « ٣٤ » .

الذى ينفع به من بعده والصدقة الجارية عليه والخلف الصالح أ . هـ .

ترجيح الغمارى :

قال الغمارى : والأول من هذه الأقوال هو الأحق بالقبول لما فيه من إبقاء النصوص الشرعية على ظواهرها وعدم تأويلها ، وقد ورد ما يدل على أن المراد بالزيادة حقيقتها مما لا يحتمل تأويلاً ولا يقبل دخيلاً فعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن فى مسجد المدينة فقال : « **إنى رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمتى أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه** » [١] .

الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة :

إن طاعة الله وبر الوالدين منها سبب حلول النماء والزيادة والبركات ، والمعصية بضد ذلك وفى الحديث : « **الحلف منفقة** [٢] **للسلعة ممحقة للبركة** » [٣] وغيره عن أبى هريرة ، وكثرة الحلف قد يكون سبباً من أسباب التغرير ويترتب عليه قلة التعظيم لله ، « **إياكم وكثرة الحلف فى البيع ، فإنه ينفق ثم يمحق** » [٤] ، لا ينبغى أن ننسى السنن وأن ندور مع إسلامنا حيث دار بعيداً عن هذا الطغيان الجارف وأن نعلم أن الزيادة والنماء وحلول البركة فى الأرزاق والأعمال وسائر الأشياء من أعظم أسبابها استقامة الحال والدعاء .

---

(١) رواه أبو موسى المدينى فى الترغيب ، وقال هذا حديث حسن جداً أ . هـ .
(٢) يساعدها على الرواج .
(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه مسلم .

أدعية نافعة لحصول البركة :

وقد وردت أدعية كثيرة تحمل هـذا المعنى فاحرص عليها ففيها الخير الكثير ، ومنها : « **أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين ، اللهم إنى أسلك خير هذا اليوم : فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه ، وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما قبله وشر ما بعده** »، يقول بين ظهرانى وضوئه : « اللهم اغفر لى ذنبى، ووسع لى فى دارى ، وبارك لى فى رزقى » وفى دعاء الاستخارة يقول : « **اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلمُ أن هذا الأمر خيرٌ لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لى فى دينى ومعاشى ، وعاقبة أمرى فاصرفه عنى وأصرفنى عنه واقدرٌ لى الخير حيث كان ثم رضّنى به** »وإذا أدّى مالاً كان اقترضه قال : « **بارك الله لك فى أهلك ومالك** »، وإذا أُتى بباكورة الثمر وضعها على عينيه ثم على شفتيه ، وقال : « **اللهم بارك لنا فى ثمرنا ، وبارك لنا فى مدينتنا ،و بارك لنا فى صاعنا ، وبارك لنا فى مُدّنا ، بركة مع بركة** »، وإذا رأى من أخيه ما يعجبه قال « **اللهم بارك فيه** »، وإذا رأى من نفسه أو ولده أو ماله أو غير ذلك شيئاً فأعجبه ، وخاف أن يصيبه بعينه ، أو يتضرر بذلك قال : « **اللهم بارك فيه ولا تضره** »وإذا أكل عند قوم وفرغ فليدع لهم : « **اللهم بارك فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم** »وإذا شرب لبناً قال : « **اللهم بارك لنا فيه ، وزدنا منه** » وإذا فرغ من طعامه قال : « **اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه** »، ويقال للزوج عقب عقد النكاح : « **بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى**

خير » وتقول النساء الحاضرات : على الخير والبركة وعلى خير طائر ، وفى الحديث : « **من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى فى الصلاة علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل على محمد النبى وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد** » . وفى دعاء القنوت الذى علمه النبى ﷺ لسِبْطِهِ وهو الحسن : « **وبارك لى فيما أعطيت** » ... اللهم آمين .

بعض ما يجوز وما لا يجوز من التبرك :

ولا يجوز طلب المدد والبركة من المقبورين كما لا يجوز التبرك بالأشجار والأحجار إلا الحجر الأسود وقد وردت وتواترت الأخبار بجواز التبرك بأثار رسول الله ﷺ .

الاستخفاف بمعانى الصبر والاستضعاف

بعض أهل التهور والاندفاع ممن تلوث بالملوثة المادية - إذا سمع من يعظ ويذكّر بوجوب الصبر ، وكيف وصلنا إلى حالة من حالات الاستضعاف ، يحكيها الواقع الذى يعيشه المسلمون ، يستهجن ويستخف بالكلمات ويراها إضاعة للوقت ، كيف وعضلاته مفتوله وجوارحه قوية وهكذا تجاهل البعض السنن الشرعية والكونية أمام حسابات الجوارح والعضلات فكانت النكبات وكانت الجحور التى أتى البعض إلا أن يُلدع منها ليس فقط مرة بل ألف مرة .

نسينا أموراً عظيمة :

إن هذا الفريق نسى معانٍ عظيمة ذكرها سبحانه فى كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ ، يقول تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) ﴾ [١] ، وهذا هو المذكور فى قوله سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) ﴾ [٢] ، وهو أيضاً المذكور فى قوله جل وعلا : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) ﴾ [٣] ، يقول العلماء : لما أخذوا برأس الأمر « أى

---

(١) سورة الأعراف الآية « ١٣٧ » .
(٢) سورة السجدة الآية « ٢٤ » .
(٣) سورة القصص الآيات « ٥ - ٦ » .

بالصبر واليقين » جعلهم ربنا أئمة .

الآيات تأمر النبي ﷺ بالصبر :

وانظروا إلى السورة التي بها أرسل صلوات الله وسلامه عليه ، يقول سبحانه فيها مخاطباً نبيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) ﴾ [١] ، وفي سور المزمل يقول سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨) رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً (٩) وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً (١٤) ﴾ [٢] ، وقد تشابه الأمر بالصبر هنا مع الأمر بالصبر هناك وأعقب ذكره بخبر القيامة ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) ﴾ [٣] ، ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً (١٤) ﴾ [٤] ، من صبر فما أقل ما يصبر ومن جزع فما أقل ما يتمتع ، فهي لحظات معدودات سرعان

---

(١) سورة المدثر الآيات « ١ - ٩ » .
(٢) سورة المزمل الآيات « ١ - ١٤ » .
(٣) سورة المدثر الآية « ٨ » .
(٤) سورة المزمل الآية « ١٤ » .

ما تُسلم الإنسان لحياة أخروية .

الصبر من أعظم أسباب النصر :

وقد سأل عمر أشياخ بنى عبس بما كنتم تنتصرون على عدوكم فقالوا : « ما لقينا عدواً إلا صبرنا لهم كما صبروا لنا » فالصبر من عدة النصر وأسبابه ولذلك قال النبى ﷺ : « **وأن النصر مع الصبر** » ، ولذلك ورد الأمر به والثناء فى أكثر من موضع من كتاب الله .

الثناء على الصابرين :

يقول سبحانه : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) ﴾ [١] ، وقال : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) ﴾ [٢] ، وقال : ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) ﴾ [٣] ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ ﴾ [٤] ، وقال : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [٥] ، وأثنى على رسله بقوله : ﴿ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [٦] ، وبشر الصابرين بقوله ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ

---

(١) سورة الطور الآية « ٤٨ » .
(٢) سورة القلم الآية « ٤٨ » .
(٣) سورة فصلت الآية « ٣٥ » .
(٤) سورة الرعد الآية « ٢٢ » .
(٥) سورة الأحقاف الآية « ٣٥ » .
(٦) سورة الأنعام الآية « ٣٤ » .

صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [١] ، والمؤمن إذا أنعم عليه شكر وإذا ابتلى صبر وإذا أذنب استغفر ، ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) ﴾ [٢] ، وقال : ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) ﴾ [٣] ، وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠) ﴾ [٤] ، وخص الانتفاع بآياته أهل الصبر وأهل الشكر تمييزاً لهم بهذا الحظ الموفور فقال فى أربع آيات من كتابه : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥) ﴾ [٥] ، وقال عز وجل ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) ﴾ [٦] ، وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من يتصبر يصبره الله ، وما أعطىَ أحدٌ عطاء خيراً وأوسع من الصبر** » [٧] ، والإيمان نصفه صبر ونصفه شكر .

ولكنكم تستعجلون :

وكان النبى ﷺ يمر بعمار وسمية وياسر وهم يعذبون ويقول : « **صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة** » ، ولما أتاه خباب بن الأرت يقول له : ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا – وكان ممن يعذب – ولم يزد النبى ﷺ على أن بيَّن له السنن ، وقال له : « **قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل ويحفر له فى الأرض ويؤتى**

---

(١) سورة البقرة الآية « ١٥٥ ، ١٥٧ » .
(٢) سورة الزمر الآية « ١٠ » .
(٣) سورة الأنفال الآية « ٤٦ » .
(٤) سورة آل عمران الآية « ٢٠٠ » .
(٥) سورة إبراهيم الآية « ٥ » .
(٦) سورة المؤمنون الآية « ١١١ » .
(٧) رواه البخارى .

بالمنشار فيوضع فوق رأسه ما يصرفه ذلك عن دينه أبداً وكان يمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه ما يصرفه ذلك عن دينه أبداً والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » ، فالعجلة هى هى وكأنه هؤلاء المعاصرين لم يأخذوا درساً من قصة موسى مع فرعون ، فقد التقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ، وتربى موسى على سرير فرعون وأكل من طعامه ثم كان هلاكه على يده ، بعد أن علا فى الأرض واستكبر هو وجنوده بغير الحق .

سوء الفهم يضاف إلى الطغيان المادى :

وقد ازداد الطين بلة عند هذا الفريق لما قرأ أن آيات الصبر منسوخة فانضاف سوء الفهم إلى الطغيان المادى الجارف الذى يعوِّل على الجوارح والعضلات ، وكانت النتيجة أن أهدرت هذه المعانى الجميلة التى تتعلق بمعنى الصبر وأثره وقد نسى هؤلاء أن الواقع هو الذى يحدد أىُ الأحكام هو الأنسب فى مراحل الجهاد ، وأن التطبيق إنما يكون بحسب الظروف الموجودة فلا بد من النظر بعين الاعتبار لحالة المسلمين وماهم عليه من ضعف أو قوة وإلا فكيف يكون الجهاد واجباً على الناس وهم غير قادرين ولا مستطيعين !! .

الواجب على من كان مستضعفًا :

يقول ابن تيمية : « فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو فى وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذى الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين وأما أهل القوة : فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون فى الدين وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

حد العجز والاستضعاف :

وقد تكلم العلماء على حد الاستطاعة وحد العجز والاستضعاف فقال ابن جُزى الغرناطى المالكى : « لا يجوز الانصراف من صف القتال إن كان فيه انكسار المسلمين وإن لم يكن فيجوز لمتحرف لقتال أو متحيز إلى فئة والتحرف للقتال هو أن يظهر الفرار وهو يريد الرجوع مكيدة فى الحرب والتحيز إلى جماعة غائبة من المسلمين اثنى عشر ألفاً لم يحل الانهزام ولو زاد الكفار على الضعف ، وإن علم المسلمون أنهم مقتولون فالانصراف أولى وإن علموا مع ذلك أنهم لا تأثير لهم فى نكاية العدو وجب الفرار ، وقال أبو المعالى : « لا خلاف فى ذلك » .

إشكال ودفعه :

وقد يُشْكَل على ذلك قوله سبحانه : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [١] ، وفيها : تحريض على القتال واستشعار للصبر واقتداء بمن صدق ربه – قال القرطبى : « هكذا يجب علينا نحن أن نفعل لكن الأعمال القبيحة والنيات الفاسدة منعت من ذلك حتى ينكسر العدد الكبير قُدَّام اليسير من العدو كما شاهدناه غير مرة وذلك بما كسبت أيدينا ، وفى البخارى : وقال أبو الدرداء : « إنما تقاتلون بأعمالكم » وفيه مسنداً أن النبى ﷺ قال : « هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم » فالأعمال فاسدة والضعفاء مهملون والصبر قليل والاعتماد ضعيف والتقوى زائلة قال الله تعالى : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [٢] ، وقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ﴾ [٣] ، وقال :

---
(١) سورة البقرة الآية « ٢٤٩ » .
(٢) سورة آل عمران الآية « ٢٠٠ » .
(٣) سورة المائدة الآية « ٢٣ » .

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾[١]، وقال : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾[٢] ، وقال : ﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٣] ، فهذه أسباب النصر وشروطه وهي معدومة عندنا غير موجودة فينا ، فإن لله وإنا إليه راجعون على ما أصابنا وحل بنا ! بل لم يبق من الإسلام إلا ذكره ، ولا من الدين إلا رسمه لظهور الفساد ولكثرة الطغيان وقلة الرشاد حتى استولى العدو شرقاً وغرباً براً وبحراً وعمت الفتن وعظمت المحن ولا عاصم إلا من رحم أ . هـ .

دفع مال للكفار عند ضعف المسلمين :

وقد تكلم العلماء في دفع مال للكفار عند ضعف المسلمين إذا خيف استئصالهم كما يجوز فداء الأسير بالمال ، فدفع صغار أعظم منه وهو القتل والأسر وسبي الذرية الذي يفضي سبيهم إلى كفرهم يكون من باب أولى وأحرى [٤] ، وحديثنا هذا إنما هو تقرير للواقع وحكمه وليس فرحاً بما قد يصل إليه الحال هنا أو هناك ، في هذا الوقت أو غيره ، كما أنه ليس مبرراً نعلق عليه تكاسلنا وتخاذلنا في الأخذ بالأسباب والعمل على إظهار أمر ربنا : ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾[٥] ، فالمسلم طوع إشارة ورهين أمر ومن شأنه أن يعظم حرمات الله : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى

---

(١) سورة النحل الآية « ١٢٨ » .
(٢) سورة الحج الآية « ٤٠ » .
(٣) سورة الأنفال الآية « ٤٥ » .
(٤) راجع كتاب تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد «ص ٢٣ – ٣١ » .
(٥) سورة العصر .

الْقُلُوب (٣٢) ﴾ (١) ، ويعلم أن الله لا يضيع أهله ، بل من ظن أن الله يضيع أولياءه فقد ظن ظن السوء برب العزة جل وعلا .

تخفيف منابع الإسلام :

ولسنا ممن يجهل حجم المخططات التى يعمل بها الأعداء فى الداخل والخارج لإماتة هذه الأمة ، ولا ما ينادى به البعض من تجفيف منابع الإسلام فى الإعلام والتعليم وشتى نواحى الحياة ، وهذا الإظلام الذى يُطلق عليه ظلماً وزوراً اسم التنوير ، ونعلم كيف تتعاون الاستخبارات الأوربية والأمريكية لمواجهة المسلمين ، ولا يخفى على أحد أفعال اليهود لتخريب الاقتصاد وتعكير الأمن لإلصاق التهمة بالمسلمين ولا ننسى ما يحدث للمسلمين فى البوسنة وفلسطين وروسيا والصومال والهند وبورما وكشمير وهنا وهناك ، ونرى أن ذلك كله يتطلب صبراً كبيراً ، لا جبن فيه ولا خور معه ولا يأس : ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧) ﴾ (٢) .

كيف تكون المواجهة :

لا بد من الإعداد الإيمانى لمواجهة الكربات والمصائب مع الاحتساب والاسترجاع : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ (٣) ، لا بد من تجديد معانى التوكل وعلو الهمة والحياء من الله ، وأن يعترينا الخجل عندما نرى من تُسمى بالأم تريزا تنتقل بدعوتها

---

(١) سورة الحج الآية « ٣٢ » .
(٢) سورة يوسف الآية « ٨٧ » .
(٣) سورة آل عمران الآية « ١٧٣ ، ١٧٤ » .

التبشيرية من حى الزبالين بمصر إلى العراق فى أعقاب حرب الخليج فهل نبذل لدعوتنا نصف ساعة أو ربع ساعة ونكون بذلك قد أدينا مهمتنا ؟! .

سلفية الفكر عصرية المواجهة وخطأ من ينادى بذلك :

ولسنا فى حاجة للتغير أو التبديل أو رفع شعار سلفية الفكر عصرية المواجهة ، بل لا بد من تخطئة هذه العصرية المزعومة ، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما يصلح به أولها وهذا المنهج الذى ندين به وهو منهج الرجوع للكتاب والسنة بفهم سلفنا الصالح ومن تابعهم بإحسان ليس بقاصر بل هو منهج التقدم لا الرجوع للوراء ، ولكن التقدم فيما يقبل التقدم كبناء المصانع والمدارس والمستشفيات والأخذ بأسباب القوة كائنة ما كانت دون التفريط فى طاعة الله : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[1] ، فالتطور والتحضر والتقدم إنما يكون مع استمساكنا بكل ما جاء فى كتاب الله وفى سنة رسول الله ﷺ هذا المنهج شامل لكل ناحية من نواحى الحياة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو اجتماعية أو أخلاقية - شامل للحرب وللسلم - للمسجد والسوق - والجسد والروح والفرد والجماعة - كما أنه منهج الأصالة لا التقليد ، وليس معنى أخذنا للعلوم النافعة ممن أفلح أن نفرط فى معنى من معانى الهداية والدين ، فلا خير فى دنيا خلت عن معانى الإيمان والدين على العقول والنفوس ، حتى أصبح الطغيان المادى تياراً جارفاً فى كل ناحية من نواحى الحياة وكل زاوية من زواياها ، ولله المشتكى وإليه المرجع والمآب وهو المسئول سبحانه بمنه وكرمه أن ينتشلنا من هذا الوحل إلى بر الأمان .

---

(١) سورة الإسراء الآية « ٩ » .

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ [١] .

قال الضحاك : لما سرق ابن أبيرق الدرع اتخذ حفرة فى بيته وجعل الدرع تحت التراب . وقد ورد فى سبب نزول هذه الآيات أن نفراً من الأنصار – قتادة ابن النعمان وعمه رفاعة – غزوا مع رسول الله ﷺ فى بعض غزواته ، فَسُرِقَتْ درعٌ لأحدهم « رفاعة » فحامت الشبهة حول رجل من الأنصار من أهل بيت يقال لهم : بنو أبيرق ، فأتى صاحب الدرع رسول الله ﷺ فقال : إن طَعمه بن أبيرق سرق درعى (وفى رواية : إنه بشير بن أبيرق وفى هذه الرواية : أن بشيراً هذا كان منافقاً يقول الشعر فى ذم الصحابة وينسبه لبعض العرب !) فلما رأى السارق ذلك عمد إلى الدرع فألقاها فى بيت رجل يهودى اسمه زيد بن السمين وقال لنفر من عشيرته : إنى غيبت الدرع ، وألقيتها فى بيت فلان ، وستوجد عنده فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا نبى الله : إن صاحبنا برئ ، وإن الذى سرق الدرع فلان وقد أحطنا بذلك علماً ، فأعذر صاحبنا على رؤوس الناس ، وجادل عنه ، فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك ، ولما عرف رسول الله ﷺ أن الدرع وجدت فى بيت اليهودى قام فبرأ ابن أبيرق وعذره على رؤوس الناس ، وكان أهله قد قالوا للنبى ﷺ – قبل ظهور الدرع فى بيت اليهودى – أن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت !! قال قتادة : فأتيت رسول الله ﷺ فكلمته فقال : « عمدت إلى أهل بيت يذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة

---

(١) سورة النساء الآية « ١٠٨ » .

على غير ثبت ولا بينة ؟ » **قال : فرجعت ، ولوددت أن خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك فأتاني عمي رفاعة فقال : يا ابن أخي ما صنعت ؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ فقال : الله المستعان فلم نلبث أن نزلت :** ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) ﴾[١] ، - أي بني أبيرق - وخصيماً : أي محامياً ومدافعاً ومجادلاً عنهم - ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ﴾[٢] ، أي مما قلت لقتادة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٦) ﴾[٣] ، ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾[٤] ، إلى قوله تعالى : ﴿ رَّحِيمًا ﴾[٥] ، - أي لو استغفر الله لغفر الله لهم : ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾[٦] ، إلى قوله : ﴿ وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[٧] ، ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ ﴾[٨] ، إلى قوله : ﴿ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤) ﴾[٩] ، فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فرده إلى رفاعة .

تفسير القرطبي للآيات :

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ ﴾[١٠] ،

---

(١) سورة النساء الآية « ١٠٥ » .
(٢) سورة النساء الآية « ١٠٦ » .
(٣) سورة النساء الآية « ١٠٦ » .
(٤) سورة النساء الآية « ١٠٧ » .
(٥) سورة النساء الآية « ١١٠ » .
(٦) سورة النساء الآية « ١١١ » .
(٧) سورة النساء الآية « ١١٢ » .
(٨) سورة النساء الآية « ١١٣ » .
(٩) سورة النساء الآية « ١١٤ » .
(١٠) سورة النساء الآية « ١٠٨ » .

أى يستترون كما قال تعالى ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ﴾[1] ، أى مستتر ، وقيل يستحيون من الناس وهذا لأن الاستحياء سبب الاستتار ﴿ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ ﴾[3] ، أى لا يخفى مكان الدرع على الله ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾[2] ، أى رقيب حفيظ عليهم ، قال القرطبى : ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ ، أى بالعلم والرؤية والسمع وهذا قول أهل السنة ، وقال سيد قطب فى تفسيرها « وهى صورة زرية داعية إلى الاحتقار والسخرية زرية بما فيها من ضعف والتواء ، وهم يبيتون ما يبيتون من الكيد والمؤامرة والخيانة ، ويستخفون بها عن الناس ، والناس لا يملكون لهم نفعاً ولا ضراً بينما الذى يملك النفع والضر معهم وهم يبيتون ما يبيتون ، مطلع عليهم وهم يخفون نياتهم ويستخفون ، وهم يزورون من القول ما لا يرضاه فأى موقف يدعو إلى الزراية والاستهزاء أكثر من هذا الموقف ؟ » ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) ﴾[4] ، إجمالاً وإطلاقاً ... فأين يذهبون بما يبيتون والله معهم إذ يبيتون ، والله بكل شئ محيط وهم تحت عينه وفى قبضته » أ . هـ[5] .

قصة لا تعرف لها الأرض نظيراً :

هذه الآيات تحكى قصة لا تعرف لها الأرض نظيراً ولا تعرف لها البشرية شبيهاً وتشهد – وحدها – بأن هذا القرآن وهذا الدين لا بد أن يكون من عند الله ، لأن البشر – مهما ارتفع تصورهم ، ومهما صفت أرواحهم ، ومهما استقامت طبائعم لا يمكن أن يرتفعوا بأنفسهم إلى هذا المستوى الذى تشير إليه

---

(١) سورة الرعد الآية « ١٠ » .
(٢) سورة النساء الآية « ١٠٨ » .
(٣) سورة النساء الآية « ١٠٨ » .
(٤) سورة النساء الآية « ١٠٨ » .
(٥) راجع : « فى ظلال القرآن » جـ ٢ ص ٢٥٧

هذه الآيات إلا بوحى من الله هذا المستوى الذى يرسم خطاً على الأفق لم تصعد إليه البشرية إلا فى ظل هذا المنهج – ولا تملك الصعود إليه أبداً إلا فى ظل هذا المنهج كذلك . إن هذه الآيات نزلت تبرئة ليهودى من اليهود التى لا تدع سهماً مسموماً تملكه إلا أطلقته فى حرب الإسلام وأهله ، اليهود التى يذوق منها المسلمون الأمرين فى هذه الحقبة (ويشاء الله أن يكون ذلك فى كل حقبة !) اليهود التى لا تعرف حقاً ولا عدلاً ولا نصفة ، ولا تقيم اعتباراً لقيمة واحدة من قيم الأخلاق فى التعامل مع المسلمين على الإطلاق .

دروس مستفادة من القصة :

هل أخذنا درساً من هذه الآيات البينات ، وهل نحن على استعداد أن نبرئ ساحة المسلمين بعد اتهامهم بالتطرف والإرهاب ونسبتهم لارتكاب حوادث القتل والتخريب ظلماً وزوراً بعد أن اتضح أن اليهود على الأقل قد ارتكبوا بعضها لتعيكر الأمن وتخريب الاقتصاد ولتعجيل الإجهاز على الصحوة الإسلامية ؟ وهل انتهينا عن الزنا والسرقة وسائر المعاصى والذنوب التى نتكتمها عن الناس ونبديها لرب الناس ؟ كان الإمام أحمد يقول :

إذا خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علىّ رقيب
لا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

دناءة ونذالة :

إنها لدناءة ونذالة أن نعصى الله ونحن فى قبضته ، ونجترأ على انتهاك حدوده وهو يرانا ويسبغ علينا نعمه ، أين الحياء والخجل من الله وقد بارزنا الله بالحرب ليس فى السر فقط ، بل وفى العلن كذلك ، بل أصبح البعض يتباهى بالزنا وشربا لخمر ومصاحبة النساء ... وفى الحديث : « **ما ظهرت الفاحشة**

فى قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا » إن هذا الحال الذى نعيشه – والذى لا يخفى عليكم – إنما يدل على عدم الخوف من الله كما يدل على عدم الحياء منه سبحانه والحياء والإيمان قُرناً جميعاً فإذا رُفع أحدهم رُفع الآخر ، إن الناس لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وإنما الذى يملك ذلك هو ربنا جل وعلا وبيده الجنة والنار ، له الحكم كله وله الملك كله وإليه يُرجع الأمر كله ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣) ﴾ [١] .

خوف الصحابة حتى من الخواطر :

لما علم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك تخوفوا على أنفسهم حتى من خواطرهم ومشاعرهم ، فإن البعض يقول لرسول الله ﷺ : إنا لنجد فى أنفسنا مالو خررنا من السماء إلى الأرض لكان أهون علينا من أن نتحدث به فيقول النبى ﷺ : « **ذلك صريح الإيمان** » ، **وقال** : « **الحمد لله الذى رد كيده إلى الوسوسة** » – **أى الشيطان** – **وقال** : « **أوَقَدْ وجدتموه** » **وقال** : **أيضاً لمن سأله** : **قل** : « **آمنت بالله** » ، ونحن وصفنا هذه الوساوس الشيطانية بوصف المشاعر الصادقة والوجدانات والأحاسيس الفياضة والعواطف الدافقة !!! .

حالنا اليوم :

تكلمنا وعملنا بهذه الوساوس دون خوف من الله أو حياء من الناس لأنهم على شاكلتنا فى الكثير من الأحيان ، بل حالة بعض من ينتسب للعلم والصلاح الآن لا تبعد عن هذه الآية الكريمة ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا

---

(١) سورة هود الآية « ١٢٣ » .

يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾[١] ، فهذا الذى يبتسم ابتسامة عريضة مع اخوانه وأصدقائه وهو دائم الشتم والضرب لزوجته وهذا الذى يلين جانبه للناس ثم هو هو الفظ الغليظ مع والديه ، وهذا الذى يعيش بوجهين وبمفهومين وبولاءين ، وجه له فى المسجد فيه أمارات التقى وعلامات الصلاح والثانى مع الراقصة والمغنية أو فيه أمارات الربا والغش والرشوة ... كلها صور لا تتباعد عن هذه الآية وزيادتها واستشراؤها يدل على صورة من صور الطغيان المادى المعاصر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أقوال نورانية :

وقال بعض السلف : إذا أتى علىَّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربنى إلى الله فلا بورك لى فى شمس ذلك اليوم » ، وسئل ابن المبارك عن أحسن الناس فقال : العلماء ، قيل مَنْ من الملوك؟ قال : الزهاد ، قيل فمن السفلة ؟ قال : الذى يأكل بدينه ، وكان البعض يقول : أى شئ أدرك من فاته العلم وأى شئ فاته من أدرك العلم ، وعن أبى الدرداء رضي الله عنه : « من رأى أن الغدو إلى العلم ليس بجهاد فقد نقص فى عقله ورأيه » ، وعن علىّ رضي الله عنه « الناس ثلاثة فعالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئون بنور العلم » ولم يلجأو إلى ركن وثيق ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم يزكوا على الإنفاق والمال تنقصه النفقة ، العلم حاكم والمال محكوم عليه ، ومحبة العلم دين يدان به ، وفى وصية لقمان لابنه « يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله سبحانه محيى القلوب

---

(١) سورة النساء الآية « ١٠٨ » .

بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء ويقول الحسن : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم .

وصية معاذ بن جبل رضي الله عنه :

ويقول معاذ بن جبل : « تعلموا العلم فإن فى تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهادو تعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة والدليل على الدين والصبر على البأساء والضراء ، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم خير قادة سادة هداة يقتدى بهم ، أدلة فى الخير ، تُقص [١] آثارهم ، يبلغ العبد به منازل الأبرار والدرجات العلى ، والتفكير فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام ، به يُطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد ويمجد وبه توصل الأرحام وبه يُعرف الحلال والحرام وهو إمام والعمل تابع له يُلهمه السعداء ويُحْرَمه الأشقياء .

كلماتهم أسمع فى الأمة من الحكام :

قالوا : « صنفان إذا صلحا صلح سائر الناس وإذا فسد فسد سائر الناس ، العلماء والأمراء » وهؤلاء وأولئك هم أولوا الأمر منا ، وكلاهما يحرص على الاستقامة على أمر الله فى علمه وحكمه ، وقد كانت كلمة العلماء فى وقت مضى أسمع فى الأمة من الحكام ، ففى محنة الإمام أحمد وأثناء سجنه أتاه تلميذه أبو سعيد يقول له : يا إمام قلها – أى وافق المأمون – فإن لك عيالاً فقال له الإمام : انظر من الشرفة ، فنظر أبو سعيد فوجد خلقاً كثيراً ، كلهم أمسك ورقة وقلماً يريد أن يكتب ما سيقوله الإمام ، فرجع يصف له المشهد ، فقال له الإمام : والله ما يكون لى أن أنجو بنفسى وأضل هؤلاء ، وكان أشبه

(١) نتتبعها .

بالأمة وحده رحمه الله ، لقد صانوا العلم فرفعهم الله مكاناً علياً وكانوا هداة مهتدين . يُذكر أن أم الإمام أبى حنيفة رحمه الله أتته وهو فى حبسه فقالت له : يانعمان إن علماً ما أفادك غير الضرب لحقيق أن تزهد فيه ، فقال لها : والله يا أمه لو أردت به الدنيا لوجدتها ولكنى أردت أن أصون العلم فلم أعرض نفسى فيه للهلكة والعلم شريف ، من أراد به الدنيا وجدها ومن أراد به الآخرة وجدها .

نماذج من علاج المشاكل النفسية بمزيد من المشاكل

أولاً : كتاب كيف تحل مشكلاتك النفسية

للدكتور / طارق يوسف :

﴿١﴾ تحت عنوان « الخوف من الامتحان » ذكر المؤلف ص ١١ أن من صور العلاج الذهاب إلى السينما أو فى نزهة مع بعض أصدقائه فى الهواء الطلق أو المسرح على أن يكون ذلك مرة أسبوعياً على الأقل !! ولا يخفى عليك ما فى التمثيل من حرمة وما فى بعض الأفلام والمسرحيات من تهجم على معانى الدين وغيبة وكذب واختلاط وسهر فى غير موضعه وفحش وتفحش وكل ذلك بزعم التمثيل .

﴿٢﴾ تحت عنوان « إدمان السجائر » قال المؤلف لصاحب المشكلة : أنت إنسان لك مقدرة ضخمة على ضبط النفس يحسدك عليها الكبار وأنا أعتقد لو أن رجلاً آخر غيرك بصقت عليه زوجته لأفرغ فيها مسدسه إن كان لديه مسدس أو لطردها من المنزل شر طردة ، ولكن أن تقول سامحك الله فهذا أمر غير معقول ! .

ولا أدرى مع التسليم بفداحة جرم الزوجة كيف يكون العلاج فى إطلاق مثل هذه العبارات الموهمة والتلاعب بالألفاظ على مثل هذا النحو بحيث تجعل السائل وغيره عرضة لحبل المشنقة وأين الكلام على إحسان اختيار الأزواج والنزول فى ذلك على هدى رسول الله ﷺ والتدرج فى علاج الخطأو العوج بالنصيحة والهجر فى المضطجع والضرب الغير مبرح « بفوطه أو سواك أو ماشابه ذلك مع تجنب الوجه والتقبيح » أو الطلاق إن

لزم الأمر ، وإلا فلا يجوز مواجهة الخطأ بالخطأ ولا المعصية بالمعصية وقد أمرنا أن نتقى الله فيمن لا يتقى الله فينا وإن نعدل فيمن جار علينا .

﴿٣﴾ تحت عنوان « حيرة الولاء لقيمتين متقاربتين » احتار المؤلف مع السائلة فى حل الصراع بين رغبتها فى الزواج من رجل مقتدر مالياً ورغبتها فى العمل ، ولو أنه نظر للمشكلة بمنظار الشريعة ، وعلم ضوابط خروج المرأة من بيتها والتحذير من اختلاطها وتبرجها ، وأن السلامة لا يعد لها شئ ، وأن كثير من الأعمال لا تخلوا من محاذير شرعية ، وأن الدنيا لا تصلح عوضاً عن الدين لسهل حل المشكلة وخصوصاً والزوج مقتدر ، ومهمتها فى تربية أولادها والقيام على شئون زوجها ومنع أسباب الفتنة عن نفسها وعن الآخرين لا يقل فى القيمة عن عمل الزوج خارج البيت مع وضعنا فى الحسبان احتياج المنزل لشغالة ، وضياع الأولاد وفقدان معانى الحنان ، ونفقة الراتب فى الموضات والمواصلات ... إلى غير ذلك مما هو واقع فى حالة خروج المرأة للعمل .

﴿٤﴾ تحت عنوان « الاستمناء » ذكر المؤلف ١٠ وسائل للعلاج وكانت الوسيلة ٩ ممارسة أنشطة دينية !!! ولا ندرى ما هى هذه الأنشطة الدينية التى يقصدها وكيف يؤخر الدين على مثل هذا النحو فى العلاج ؟! وخصوصاً والكتاب عربى والكاتب أظنه مسلماً يخاطب مسلمين ، فما الذى يمنعه من التذكير بمعانى الدين والتخويف من عذاب الله والحث على مراقبة الله وتوضيح أن النفس لا يمكن أن تسعد إلا بطاعة الله وهذا لا يتعارض مع الرياضة أو القراءة ... للتخلص من هذه العادة السيئة المحرمة .

﴿٥﴾ تحت عنوان « الأحلام المفزعة » قال المؤلف فى علاج ذلك : قبل النوم يفضل أن تأخذى حمام ماء دافئ وكوب من اللبن الساخن وتسمعين قطعة موسيقية هادئة وتأكدى أنك سوف تنامين فى عمق ، فهل طالع المؤلف حكم الموسيقى ؟! فجملتها محرمة على قول جمهور العلماء ، سواء كانت هادئة أو صاخبه ، وقد وردت النصوص بمنعها ، وبالتالى فلا يجوز التداوى بمحرم ، وقد مر بك قول النبى ﷺ :« **تداووا عباد الله ولا تتداووا بحرام** » وقوله :« **ما جعل الله شفاء أمتى فيما حرم عليها** » ، ولو أنه دل السائل على أذكار النوم ، والحرص على النوم على الشق الأيمن وإغلاق الباب ... وغير ذلك من السنن لكان المؤلف قد أجاد وأفاد .

وما ذكرناه إنما هى أمثله أردنا أن نبين بها كيف تزداد المشاكل حدة عندما نداوى المرض بمرض آخر مما يكرس المشاكل حدة فى حياتنا .

والكتاب كله بحاجة لعرضه على كتاب الله وسُّنة رسول الله ﷺ لتنقيته مما شيب به من مخالفات شرعية .



ثانياً : كتاب سبيلك إلى السعادة والنجاح

﴿ لسمير شيخاني ﴾ :

﴿١﴾ تحت عنوان « كيف تتغلب على الخوف » (٢٢ – ٢٧) ذكر المؤلف ص ٢٣ ما نصه : « أن الأعمال الكبرى تتطلب أن نتجنب بعناية هذا التصلب فى وجهات النظر الذى يميز المتمسك بعقيدة أو بمبدأ ، فالفكر ينبغى أن يبقى متفتحاً قابلاً للتأثر ومرناً » أ . هـ ولا يخفى عليك أنها دعوة لأن يكون الإنسان زئبقياً منافقاً فى سبيل تحقيق المشاريع الكبرى ، ولا ندرى ماهى هذه المشاريع التى تستحق أن يبيع الإنسان دينه رخيصاً فى سبيلها ، وألم يقرأ قوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② ﴾ [١] ، وغيرها من الآيات حتى يعلم أن الدنيا لا تصلح عوضاً عن معنى من معانى الدين ، وكأن المؤلف غفل عن معانى الإيمان بالله واليوم الآخر فلم يذكر ذلك ، ولو على سبيل الإشارة من بعيد للتغلب على الخوف ومن المعلوم أن الإنسان إن لم يخف الله ، خاف هو من كل شئ ، ولو قرأ سير المسلمين لعلم أنهم لم تكن ترهبهم صولة الباطل وذلك لأن خوفهم كان من الله وحده .

﴿٢﴾ تحت عنوان « كيف تتغلب على العقبات » ص ١٤٤ – ١٥٠

تكلم الكاتب عن أزمة السلوك فى كل حياة وأن النتيجة ... اعتراف بمعتقداتنا التى ربما بقيت فى الظل فترة طويلة ولكنها الآن أصبحت مستبدة نزاعة إلى السيطرة ، ولا أدرى أى عقيدة هذه التى أصبحت مستبدة نزاعة إلى السيطرة ، هل هى العقيدة اليهودية المحرفة أو النصرانية المغيرة والمبدلة ، أو هى عقيدة

---

(١) سورة الكافرون الآيات « ١ ، ٢ » .

الحادية يقصدها ، أم أنه يعنى كل العقائد الحقة منها والباطلة ؟! وهل يُعتب على الإنسان إذا نظر للدنيا بمنظار الدين ، وعمل بإيمانه ، وطبق عقيدته فى كل نواحى الحياة إننا نتمنى أن يسيطر الإسلام على أفكار المسلمين ومشاعرهم وكل شئون حياتهم ، وفوقن أن السعادة لن تتحقق إلا بذلك ، والمشاكل لا تعالج إلا بالرجوع للدين الذى رضيه لنا ربنا دينا ، قال الكاتب ص ١٤٦ : عندما نتنهد بسبب مشكلتنا فإنها تصبح مضاعفة يوماً بعد يوم ، عندما نضحك من مشكلتنا فإنها تصبح فقاعة تطير بعيداً » أ . هـ ، ياليت المشكلة تنتهى بالضحك وبحيث ألا يتنهد الإنسان بسبب مشكلته ، ولكن كيف ذلك دون الرجوع لدين الله ، فالكافر يُشاك بشوكة فيملأ الدنيا عويلاً وصياحاً ، وشأنه كشأن البعير عقله أهله ثم حلّوه ، فلم يدر لِمَ عقلوه ولم يدر لِمَ حلوه ، أما بالنسبة للمسلم الذى يرجع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ ويصبر ويحتسب الأجر عند الله ويسترجع ويتوكل على ربه ، ويقوم إلى صلاته ويتضرع إلى ربه ويدعوه وينظر لمن هو دونه فى الدنيا ... فلا يمكن أن تصمد أمامه المشكلة بإذن الله وعلى كل حال فكل إناء بما فيه ينضح والفارق كبير بين مسالك المؤمنين فى التغلب على العقبات وبين مسالك غيرهم .

ص ١٤٩ كتب يقول : أنت أيضاً يمكنك أن تعرف الشهرة « فهل الشهرة حققت سعادة حقيقية يوماً ؟! وهل بمقدورك حل المشكلات ؟! وأليست دعوة للرياء وغيره من آفات الشهرة ؟! وماذا يصنع إذن الأتقياء الأخفياء الذين يخفى أمرهم على أهل الأرض ويعرفون فى أهل السماء ؟! .

﴿ ٣ ﴾ تحت عنوان هل يمكنك أن تكون نجماً سينمائياً « طرح الكاتب عدة أسئلة حتى يتعرف القارئ أيصلح أن يكون ممثلاً أو متفرجاً !! وهكذا تُدار المسائل بعيداً عن أمر الخالق جل وعلا ، وإلا فالحلال ما أحل والحرام ما حرم

والدين ما شرع ، وليس لنا إلا أن نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، ولا نتمنى أبداً أن نكون ممثلين ولا متفرجين على مشاهد العرى والخلاعة والفحش والتفحش ، ولا نقبل لهذا النجم المذكور أن يصنع من نفسه شيطاناً أو حماراً ... ولا يصلح أن يكون الممثل أُسوة وقدوة للبشر أو بديلاً عن النجوم الحقيقيين الذين يقومون بدين الله وبه يعدلون ، ويصلحون فى الأرض ولا يفسدون .

﴿٤﴾ تحت عنوان كيف تبدين فى عيون الآخرين « طرح عدة أسئلة مثل: (*) هل تتطيبين بالعطر كل يوم ؟ (*) هل تنظرين فى مرآة كبيرة يبدو فيها جسمك كله ، قبل خروجك من المنزل لتتأكدى من مظهرك ؟ (*) هل تستعملين مرآة مكبرة أثناء القيام بوضع المساحيق على وجهك ؟ (*) هل تحددين دائماً خط حاجبيك ؟ (*) هل تحاولين التوفيق بين لون أحمر الشفاه الذى تستعملينه وطلاء الأظافر ولون الثوب الذى ترتدينه ؟ .

إن أسئلة الكاتب دعوة للتحلل والإنحراف ، وبحيث تصبح المرأة فتنة لنفسها ولغيرها ، فما ترك النبى ﷺ فتنة أضر على الرجال من النساء ،و بيّن أن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء ولا ننكر أن المرأة تميل للتجمل والتحلى ﴿ أَوَ مَن يُنَشَّؤُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [(١)] ، ولكن يجوز لها إبراز زينتها للرجال الأجانب ، ولا يصح أن تتزين بإزالة شعر الحواجب أو بوضع الباروكة أو بطلاً الأظافر الذى لا يصح معه الوضوء ، أو أن يتم ذلك بوسائل يستتبعها مضرة ببشرتها .

---

(١) سورة الزخرف الآية « ١٨ » .

﴿ ٥ ﴾ **تحت عنوان أسرار الوجوه « ذكر الكاتب ص ٣١٢ »** : إن سلامة نية أصحاب الوجه البيضاوى وطيب سرير تهم يوقعان بهم فى مشاكل معقدة لأنهم غالباً لا يفرقون بين الصديق والعدو قال : وأنصحهم أن يسيئو الظن قليلاً بالناس لأن فيهم الطيب والخبيث المخادع » وبئست النصيحة ، وبئس الكاتب الذى يمتلئ بمثل هذه المخالفات الشرعية ، من أوله إلى آخره ، وماذكرت أنا إلا بعض النماذج والأمثلة ، لقد كان يسعه أن يقول لأصحاب الوجه البيضاوى خذوا حذركم مع أعدائكم ، أو لا تفرطوا فى الأخذ بالأسباب الشرعية وتوكلوا على الله ، أما أن يتصادم مع شرع فينصحهم أن يسيئوا الظن قليلاً !! والله يقول إن بعض الظن إثم ، ثم ماهو حد القليل الذى ذكره ؟! إنها الجهالة بالشرع والواقع ، ودفع الناس لمزيد من المشاكل بزعم علاج المشاكل ، وإلا فالأصل فى الناس البراءة لا الإتهام ، وقد أمرنا أن نقبل من الناس علانيتهم ونكل سريرتهم لله هو يتولى السرائر ، ونحسن الظن بالناس ونسيء الظن بأنفسنا ، بل لو خدعنا إنسان بالله انخدعنا له ، وقد دل على ذلك نصوص الشريعة ونطقت بذلك أقوال علماء الأمة المعتبرين .

ثالثاً : كتاب « أتح لنفسك فرصة »

﴿ لمؤلفه / جوردون بايرون ﴾ :

﴿١﴾ تحت عنوان اختبر نفسك ص ٢٠ ذكر المؤلف عدة أسئلة من أجاب عليها بنعم حاز الدرجة كاملة ، ومنها :

هل أنا خصب الخيال ، واسع الحيلة ؟ ولا يخفى عليك الفارق بين المسلم وبين الرجل الخيالى الذى يعيش على الخزعبلات والأساطير ، أو يحتال للوصول لغرضه حتى ولو كان ثعلباً يعيش بالمذهب المكيافيللى « الغاية تبرر الوسيلة » .

﴿٢﴾ هل أنا رياضى الروح ؟ ولا تخلوا الرياضة من عنصر نسائى ومساج وعرى وكشف للعورات وانحناءة على سبيل التحية... إلى غير ذلك من المخالفات [١]، فالضابط عندنا هو معانى الإيمان لا الروح الرياضية .

﴿٣﴾ هل أقدر الفنون الجميلة ؟ هل أقدر الموسيقى ؟ هل أساير الأدب؟ [٢] ، هل يرسب الإنسان أو لا يحوز الدرجة إذا كان لا يُقدّر فنون الضياع كالرقص والبالية ونحت الأصنام ، ولا يساير الأدب المكشوف والأدب الغريزى وأدب الجنس ؟!!! .

تحت عنوان كيف تكتسب الشخصية الجذابة « ص ٥٨ » ذكر المؤلف هذه المميزات وبدأها بالصحة فقال : « الذى أوتى الصحة يؤتى الأمل ، والذى يؤتى الأمل يؤتى كل شئ » هذا قول مأثور ولا تفتقر صحته إلى دليل » هكذا نقل المؤلف .

---

(١) راجع كتابى « ضوابط شرعية للألعاب الرياضية » من مطبوعات دار الإيمان .
(٢) راجع كتابى « الشهرة وعالم الأضواء » وكتاب « رسالة لأهل الفن » من مطبوعات دار الإيمان .

ولا يخفى علينا أن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يشعر بها إلا المرضى ، ولكن ما معنى الأمل هنا ولا ندرى يكف يؤتى به كل شئ ؟! وهل من افتقد الصحة يضيع ويكتئب مثلاً ؟! ، إن المسلم الذى يؤمن بقضاء الله وقدره ، ويرضى بحكم الله ، تطيب نفسه وينشرح صدره ثم هو مدعو لتقصير الأمل وأن يعد نفسه من أهل القبور ، وأن يرتحل طلباً لما عند الله ، ﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ (٤) ﴾[١] ، ﴿ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) ﴾[٢] ، وكما قالوا أنت من التراب وإلى التراب تعود ، أنت اليوم حيى وغداً ميت .

﴿ ٤ ﴾ تحت عنوان « كيف تنجح فى عملك » كتب يقول ص ١٤٧ :
« لا تقبل العمل كمنحة أبداً ، وإنما بع خدماتك ، وبأقصى ما تستطيع من ثمن للفرد أو الهيئة التى تظن أنها تفيد منك » وواضح أنها دعوة مادية طاغية لا تنطوى على إيثار أو تباذل أو طلب الأجر من الله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴾[٣] ، وقال: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٤] ، كان يسعه أن ينصح باستيفاء الأجر بالحق والعدل لا بأقصى ما تستطيع من ثمن ، ولو قال عليك بالرفق والشفقة والتعامل مع الله ومراقبته سبحانه لكان أولى وأحرى به ، ولكن ماذا نصنع وقد تصدر البعض لحل المشاكل بلا أدوات ولا أهلية ، وانبهر الناس بالألقاب والمناصب ، وسيطرت عقدة الخواجه على فريق من الناس ، وقد ورد فى الحديث : **« إن من أشراط الساعة أن تُلتمس العلم عن الأصاغر »** ، قال ابن المبارك رحمه الله : **الأصاغر هم أهل البدع** ، فنسأل الله تعالى أن يفقهنا فى ديننا حتى نكون هداة مهتدين .

---

(١) سورة الضحى الآية « ٤ » .
(٢) سورة الأعلى الآية « ١٧ » .
(٣) سورة الإنسان الآية « ٩ » .
(٤) سورة الحشر الآية « ٩ » .

تنوع أحوال الناس في مواجهة المشاكل النفسية

عندما يواجه الناس عقبة أو مشكلة فمنهم :

﴿١﴾ من يمضى فى التفكير والتقدير وبذل الجهد للخروج من المأزق مستعيناً بالله تعالى ، أى أنه يأخذ بالأسباب الشرعية ويتوكل على ربه ، فيكون راضيـاً عن الله فى عسره ويسره وهذا شأن المستبصرين بشرع الله ، فيقدمون الشرع على العقل عند المعارضة ، وقد ذكر ابن تيمية أنه لا تعارض بين نص صحيح وبين عقل صريح ، فإذا وجد التعارض فإما أن يكون النص غير صحيح وأما أن يكون العقل غير صريح .

﴿٢﴾ ومنهم من يسارع إلى الاستسلام والتخاذل على الفور فى مواجهة المشكلة .

﴿٣﴾ ومنهم من يضطرب ويختل ميزانه بعد محاولات تطول أو تقصر ، فإذا به أصبح نهباً للغضب أو الذعر أو الخزى وغير ذلك من المشاعر التى تنجم عن الفشل والإخفاق ، وهذه حالة كثير من الناس فى المدينة المعاصرة !! .

وقد ذكر د / رمضان حافظ صاحب كتاب « عصر الأزمات النفسية » أن التفكير المثمر الذى يأتى بنتائج إيجابية حيال أى مشكلة أو أزمة له شروط وهى :

- أن يلزم الفرد جانب الروية والهدوء .
- النظر الفاحصة الشاملة الموضوعية للمشكلة من كل جوانبها .
- تحليل عناصر المشكلة « السارة وغير السارة » .

- وزن كل عنصر وتحليله على حدة من غير تهور واندفاع .
- ألا يخدع المرء نفسه بأن يغض من خطورة المشكلة .
- ألا يتعامى عن عيوبة الخاصة ونواحى ضعفه .
- ألا يفخم من قدراته وإمكاناته ... أى يكون أميناً واقعياً فى تفكيره .
- مضاعفة الجهود وتحصيل المعلومات الضرورية وكسب مهارات جديدة .
- طلب النصح والتعاون مع الغير .
- طرح المشكلة وجوانبها كتابة وطرح مزايا وعيوب الحلول المقترحة للحل فى خلال عدة أيام أو أسابيع لعمل الموازنة الإجمالية [١] .
- توقع أسوأ ما يمكن أن يحدث وتقبله مهما كان .
- حاول أن تنقذ ما يمكن انقاذه .
- ابدأ فى تنفيذ أفضل الحلول خطوة خطوة بتأنى وروية .
- بعض المشكلات يستحسن أرجائها أو تأجيل اشباع بعض دوافعها حتى تحين فرصة مواتية . أ . هـ .

إن الإنسان بحاجة إلى أن ينظر إلى المشكلة كما لو كان غيره هو الذى يواجه تلك المشكلة ، وأن يستصحب الضوابط الشرعية حتى يتحقق له التوازن والاعتدال وعلو الهمة والنظر لمن هو دونه فى الدنيا ولمن هو فوقه فى الدين .

أقول : لو بدأ كل واحد بنفسه واستطاع أن يتغلب على مشكلته ويرد الحقوق لأصحابها لو فعلنا ذلك لاختفى وانتهى الكثير من المشاكل فى حياتنا ، فالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) هذا إذا احتمل الأمر وإلا فنعمل من باب ما لا يدرك كله لا يترك جله ونستنفذ ما نستطيع استنقاذه فى الحال اعذاراً للنفس بين يدى الله ، وما خاب من استخار الخالق واتشار المخلوق .

الخاتمة

زادت نسبة المشاكل المستعصية وصار شأنها كشأن كثير من الأمراض ، رغم إدعاءات التطور والتحضر والتقدم ، فما زالت مشاكل المسلمين فى فلسطين والبوسة والشيشان وبورما وكشمير رغم كثرة المسلمين ووجود الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان ، وانتشار ظواهر العنف والتدخين والمخدرات حتى وسط الصغار والنساء وفى مصر وحدها ٦ مليون حالة طلاق ... لقد جهلنا الكثير من الداء والدواء ، ولا سبب لذلك إلا الانحراف عن منهج الله تعالى ، وأعظم داء هو الكفر بالله تعالى وأعظم دواء هو الإيمان بالله جل وعلا ، وفى الحديث : « **ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء** » ، وفى الحديث : « **لكل داء دواء وإذا أصاب الدواء الداء برئ منه بإذن الله تعالى** »[1] . وعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواءً فتداووا ولا تداووا بالمحرم** »[2] .

فلما هجرنا شرع ربنا صرنا كحالة أهل الجاهلية الأولى ، حروب وثارات ومشاكل أخلاقية وتقطيع لما أمر الله به أن يوصل ، حتى صار العصر هو عصر الأزمات النفسية ، وكثرة المشاكل فى شتى شئون الحياة وعلى كل المستويات ، وندر أن تجد حلاً حقيقياً لمشكلة من هذه المشاكل ، والناظر فى حياة سلفنا الصالح سيجد البون شاسع بين المشاكل التى تؤرقنا اليوم وبين ماكان يشغلهم بالأمس ، فقد كان همهم هو مرضاة الله والعمل بطاعته سبحانه والخوف من معصيته ، والحياء من الله ،لم يكن همهم فى الدرهم والدينار ، وإنما كان هماً واحداً هو هم الآخرة ، ثم تشعبت بنا الهموم فلم يبال الله فى أى أودية الدنيا

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه أبو داود فى سننه .

تكون هلكتنا ، وفى حديث حذيفة رضي الله عنه قال : « **قلت يارسول الله إنا كنا أهل جاهلية وشر فجأنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ، قال : نعم ...** » [١] . وفيه بين النبى ﷺ أن هذا الشر يتمثل فى أناس يستنون بغير سنته ﷺ ويهتدون بغير هديه ، وفى دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها فقذفوه فيها ، والشر المذكور عنوان لمشاكل كثيرة ، نعانى منها نتيجة البعد عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ﷺ فما أحوجنا اليوم وحتى نلقى ربنا للرجوع لهذا المنهج الربانى ففيه علاج وحل لكل المشاكل التى تئن منها البشرية فمن كان مع الله كان الله معه، ومن حفظ أمر الله حفظه الله فى الدينا والآخرة ، ومن ضيع حقوق ربه فهو لما سواها أضيع ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [٢] ، وكما قال البعض : فى القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به ، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته ، وفيه قلق لا يسكنه إلا الفرار إليه ، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تُسد تلك الفاقة أبداً ، إن البشرية لن تستطيع حل مشاكلها إلا بتوقير مصدر الأمر ، وأن تكون طوع اشارة ورهن أمر كحالة نبى الله نوح عليه السلام فقد صنع السفينة فى الصحراء على الأرض اليابسة وهى يعلم مجريها ومرسها وترك نبى الله إبراهيم هاجر وولده الوحيد اسماعيل فى مكة وهو يومئذ لا أنيس فيها إلا الوحوش والسباع ، وهو يعلم أن الله لا يضيع أولياءه ، وامتثلت أم موسى عليه السلام لأمر ربها ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ

---

(١) رواه البخارى .
(٢) سورة التوبة « ٦٧ »

الْمُرْسَلِينَ (٧) ﴾ [١]. فما خابت ولا شقيت بطاعتها لربها ، إن خبراء حل المشاكل اليوم بحاجة لمن يحل لهم مشاكلهم ، وقد زادوا الطين بلة لفقدانهم البصيرة ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [٢] . وتغيير النفس يبدأ بإسلام الوجه لله ، والتوبة النصوح ورد الحقوق لأصحابها ، وأن نصلح ما بيننا وبين الله حتى يصلح ما بيننا وبين الخلق والكون من حولنا ، وأن نعلم أن ذلك لن يتم إلا بالاستعانة بالله والتوكل عليه والإنابة إليه سبحانه ، لقد تقدمنا قوم سعداء وسعدت بهم الدينا ، لما كان تعاملهم مع الله ومع النفس ومع الأصدقاء والأعداء – فى الحرب والسلم فى السياسة والاقتصاد – وفق شرع الله تعالى ، دانت لهم الدنيا ورفعهم الله مكاناً عليا، وغير لهم وجه الأرض ، كان عمر يتمنى ملئ داره رجالاً كأمثال أبى عبيدة يقيم بهم أمر الله ، وكان الثانى يتمنى الشهادة فى سبيل الله ، والثالث يتمنى مالاً ينفقه فى سبيل الله ... وهكذا كانت طموحاتهم تقرب من رضوان الله ، كانت هند بنت عتبة تحمل معاوية فى حجرها – رضى الله عنهما – إذ دخل عليها أحد أقاربها فقال لها : إن عاش معاوية ساد قومه ، فقالت : ثكلته أمه إن لم يسد غير قومه ، فكان معاوية أعظم ملوك المسلمين كما يقول ابن كثير ، يحكم مملكة إسلامية تمتد حدودها شرقاً إلى إيران وغرباً إلى مصر ، وهو القائل : « إن كان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت ، قالوا : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إن أرخوها جذبتها وإن جذبوها أرخيتها » .

ولا بأس أن يقسم علماء النفس الاجتماعى المشاكل إلى مشاكل أسرية ومدرسية واقتصادية وعملية وطفولية ومشاكل الضعف العقلى والعجز ، والعاهة والمرض العقلى والنفسى وغيره ومشاكل الانحراف والجريمة ، ولا بأس أيضاً أن

---

(١) سورة القصص الآية « ٧ » .
(٢) سورة الرعد الآية « ١١ » .

يرجعوا أسباب حدوثها إلى أسباب ذاتية أكثر منها بيئية كالعصبية الزائد للطالب ، أو أسباب بيئية أكثر منها ذاتية مثل المرأة التى هدم بيتها وتوفى زوجها مما نشأ عنه عجز فى سد احتياجات الأسرة الاقتصادية ، وإن كان الأول لا يمنع من وجود أسباب بيئية كالتفرقة فى المعاملة ، والثانى لا يمنع من تأثير العوامل الذاتية كضعف قدرة المرأة الجسمية على العمل ، وهناك مشكلات ترجع إلى عوامل ذاتية وبيئية مثل وجود التفكك الأسرى ووجود أصدقاء السوء بالإضافة إلى عنصر التكوين النفسى نقول لا بأس بذلك كله كما لا بأس أيضاً بقيام المتخصصين فى شتى فروع العلم بواجبهم فى علاج مشاكل الحياة ، ولكن الحرج فى انسلاخ هؤلاء عن دين الله ومصادمتهم لشرع الله مما يجعلنا نقطع بأنهم سيزيدون الحياة مشاكل وشراً وسوءاً .

فيا قومنا أجيبوا داعى الله ، وآمنو به ، اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا واصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا وأصلح لنا أخرانا التى إليها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا من كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر .

اللهم أصلح لى شأنى كله ، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا تكلنى إلى أحد من خلقك ، وصل اللهم وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك .

كتبه

سعيد عبد العظيم

الأسكندرية في ٢٥ من ربيع الأول ١٤١٩هـ

الأسكندرية في ١٩ يوليو ١٩٩٨م

الفهرس

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

كيف تنال السعادة الحقيقية

بقلم
سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين



